من أسرار المناسبة القرآنية

(من سورة العاديات حتى سورة الناس)

د.محمد سعيد مصطفى الغزال [1]

ملخص:

تهدف هذه الدراسة للتعرف على بعض أسرار علم المناسبة القرآنية، وذلك من خلال التعرض بالتحليل لتناسب السور القرآنية من سورة العاديات حتى سورة الناس.

وقد توصلت الدراسة إلى نتيجة مهمة، وهي أن التناسب سمة القرآن الغالبة في إطار منهجي يتضح كما يلي:

- التناسب على مستوى سور القرآن.
- التناسب بين السورة واسمها.
- التناسب بين السورة ومضمونها.
- التناسب بين افتتاحية السورة وخاتمتها.
- التناسب بين خاتمة السورة، وافتتاحية السورة بعدها.

وقد اتضح من خلال الدراسة أن هناك أسراراً قرآنية دقيقة في كل مناسبة تعرض في القرآن الكريم.

١- مدرس بجامعة مصر للعلوم والتكنولوجيا.

(ISSN: 2536- 9555)

Secrets of The Quranic Occasion
(From Surat Al-Adiyat to Surat An-Nas)

Abstract

This study aims to identify some of the secrets of the science of the Qur'anic occasion, through an exposure to analysis to fit the Qur'anic surahs from Surat Al-Adiyat to Surat Al-Nas.

The study reached an important conclusion, which is that proportionality is the predominant feature of the Qur'an in a methodological framework that becomes clear as follows:

-proportionality at the level of the surahs of the Qur'an.

The proportionality between the surah and its name.

-The proportionality between the surah and its content.

The proportionality between the opening and the conclusion of the surah.

The proportionality between the end of the surah and the opening of the surah after it.

It has become clear through the study that there are accurate Quranic secrets on every occasion that are presented in the Holy Quran.

مقدمة:

[الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا] الكهف/١، أحكمه الله– تعالى– في أعظم سبك بلاغي، وجعله نوراً وهداية للعالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له،ولي الصالحين، وأشهد أن محمداً عبد الله ورسوله خير من نطق بالضاد، الذي أوتي جوامع الكلم،فأفصح وأبان، وهدى الناس إلى صراط العزيز الحميد، وبعد.....

فإنه لمن شرف الله– تعالى– للعبد أن يستخدمه في خدمة كتابه الكريم، وقد منّ الله– تعالى– عليَّ منذ نعومة أظافري بالقرب من كتاب الله–تعالى: تلاوةً، وترتيلاً، وحفظاً، ثم منّ عليّ في مرحلة الدراسات المتخصصة بمعايشة كتاب الله–تعالى– مدارسةً وتحليلاً، فأفادني ذلك في الارتباط بالكتاب العزيز.

ولما كانت معجزة النبي الخاتم هي هذا الكتاب العظيم، فقد وجب على المسلمين جميعاً الغوص في بحور علمه؛ كشفاً لما فيه من أسرار، وعملاً بدعوة الخلق جميعاً إليه، فإنه كما ثبت في الصحيح أنه الباب الأعظم لإيمان المؤمنين، والذي يجعل النبيَّ يوم القيامة أكثر الأنبياء أتباعاً بهذا الكتاب؛ كما ثبت في الصحيح عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "مَا مِنَ الأَنْبِيَاءِ نَبِيٌّ إِلَّا أُعْطِيَ مَا مِثْلُهُ آمَنَ عَلَيْهِ البَشَرُ، وَإِنَّمَا كَانَ الَّذِي أُوتِيتُ وَحْيًا أَوْحَاهُ اللَّهُ إِلَيَّ، فَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَكْثَرَهُمْ تَابِعًا يَوْمَ القِيَامَةِ"(٢)؛ وقد استخرت الله– تعالى– في

٢– حديث صحيح، رواه الإمام البخاري ومسلمٌ في صحيحيهما،انظر/ الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله– صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري ١٨٢/٦ رقم ٤٩٨١، المؤلف: محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ، وانظر/ المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن

(ISSN: 2536- 9555)

كتابة بحث عن علم المناسبة القرآنية؛ إسهاماً في تدبر كتاب الله–تعالى– ووقوفاً على بعض أسرار الكتاب العزيز؛ فهداني الله– تعالى– لكتابة هذا البحث بعنوان: "من أسرار المناسبة القرآنية في الربع الأخير من القرآن الكريم:[من سورة العاديات حتى سورة الناس].

- وقد اتبعت في هذا البحث المنهج الوصفي التحليلي؛ وصولاً لأسرار ترتيب الربع الأخير من القرآن الكريم من خلال دراسة كل سورة من حيث: [مناسبة السورة لمضمون الربع الواردة فيه– مناسبة اسم السورة لمضمونها– مناسبة السورة والموضوع التي تعالجه– المناسبة بين افتتاحية كل سورة وخاتمتها– ثم أختم كل سورة بالحديث عن مناسبة الآيات والفواصل لبعضها في السورة الواحدة].
- وجاءت طريقة البحث كما يلي:
- معالجة كل سورة في مسألة خاصة بها من حيث العناوين السابقة.
- وثّقت كل آية واردة في البحث بعزوها لاسم السورة ورقمها.
- خرجت الأحاديث الواردة في البحث من مظانها الرئيسية، وحرصت حرصاً تاماً على الاحتجاج بالمقبول من النصوص النبوية فقط.
- قسمت البحث إلى مقدمة، ومبحثين وخاتمة، ثم ألحقت بالبحث ثبتاً بالمصادر العلمية التي استعنت بها في كتابة البحث:
- أما المقدمة فجاءت بياناً لأهمية البحث والمنهج المتبع فيه، وطريقة معالجة الموضوعات.

العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ١٨٢/٦،رقم ١٥٩،المؤلف: مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ)، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي– بيروت

- وجاء المبحث الأول تمهيداً للبحث؛ وقد ذكرت فيه ثلاث مسائل [التعريف بالمناسبة لغة واصطلاحاً– أهمية علم المناسبة– أنواع المناسبة القرآنية].

- المبحث الثاني: الدراسة التطبيقية على الربع المختار؛وجعلته في أربع عشرة مسألة؛ بحيث تناولت كل سورة في مسألة مختصة بها.

- ثم ختمت البحث بخاتمة جامعة لأهم النتائج التي خرجت بها من هذه الدراسة، وأهم التوصيات العلمية من ورائها.

- وألحقت بالبحث فهرساً علمياً لموضوعات الدراسة موضوع البحث.

- ثم صففت قائمة بأهم المراجع التي أفدت منها في هذا البحث، والله أسأل أن يجعل عملي كله صالحاً، وأن يجعله لوجهه خالصاً، وأن يجعله في الآخرة متقبلاً: [رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ].

المبحث الأول

المبحث التمهيدي: حول المناسبة القرآنية- وفيه ثلاث مسائل

*المسألة الأولى: المناسبة لغة واصطلاحاً:

- المناسبة في اللغة هي المقاربة، والموافقة، والمشاكلة، يقال فلان يناسب فلانا أي يقرب منه ويشاكله ومنه النسيب الذي هو القريب المتصل كالأخوين وابن العم ونحوه، وإن كانا متناسبين بمعنى رابط بينهما وهو القرابة، وذلك على سبيل المجاز(٣).

٣– انظر/ المحكم والمحيط الأعظم ٥٢٩/٨، المؤلف: أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي [ت: ٤٥٨هـ]،المحقق: عبد الحميد هنداوي،الناشر: دار الكتب العلمية– بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ– ٢٠٠٠ م، أساس البلاغة ٢٦٥/٢، المؤلف: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ)، تحقيق: محمد باسل عيون السود، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ– ١٩٩٨ م

(ISSN: 2536- 9555)

- وقيل عنها في الاصطلاح:هي الرابطة بين شيئين بأي وجه من الوجوه، وفي كتاب الله تعني ارتباط السورة بما قبلها وما بعدها، وفي الآيات تعني وجه الارتباط في كل آية بما قبلها وما بعدها(٤).

***المسألة الثانية أهميته**:

– من الضروري التعرف على أهمية علم المناسبة، وقاعدة الباب القيمة في معرفة هذا العلم كما قال العلماء هي:"أنك تنظر إلى الغرض الذي سيقت له السورة، وتنظر ما يحتاج إليه ذلك الغرض من المقدمات وتنظر إلى مراتب تلك المقدمات في القرب والبعد من المطلوب، وتنظر عند انجرار الكلام في المقدمات إلى ما يستتبعه من استشراف نفس السامع إلى الأحكام أو اللوازم التابعة له، التي تقتضي البلاغة شفاء الغليل بدفع عناء الاستشراف إلى الوقوف عليها، فهذا هو الأمر الكلي المهيمن على حكم الربط بين جميع أجزاء القرآن "(٥).

– وقد عد الإمام الفخر الرازي–رحمه الله تعالى– هذا العلم هو الدليل على إعجاز القرآن؛ فقال:"ومن تأمل لطائف القرآن علم أن القرآن كما أنه معجز بحسب فصاحة ألفاظه وشرف معانيه، فهو أيضاً معجز بحسب ترتيبه ونظم آياته ولعل

٤– انظر/ الإتقان في علوم القرآن ٣/ ٣٧١، المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة: ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤ م مباحث في التفسير الموضوعي ٥٨، المؤلف: مصطفى مسلم، الناشر: دار القلم، الطبعة: الرابعة ١٤٢٦هـ– ٢٠٠٥م

٥– انظر/ الإتقان في علوم القرآن ٣٧٦/٣، عبدالرحمن بن أبي بكر،جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة: ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤ م، نظم الدررفي تناسب الآيات والسور ١٩/١، المؤلف: إبراهيم بن عمربن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (المتوفى: ٨٨٥هـ)، الناشر: دارالكتاب الإسلامي، القاهرة.

الذين قالوا:إنه معجزٌ بحسب أسلوبه أرادوا ذلك إلا أني رأيت جمهور المفسرين معرضين عن هذه اللطائف غير متنبهين لهذه الأمور"(٦).

– ولما كان موضوع هذا العلم هو القرآن الكريم [ترتيب، وتناسب سوره وآياته]، ولما كان كل علم يشرف بشرف موضوعه فقد علا قدر هذا العلم، وزاد شرفه لاستمداده الفضل من فضل القرآن الكريم الذي قال الله–تعالى– في حقه:[لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ] الأنبياء ١٠

– هذا العلم يؤكد على ألوهية مصدر الوحي القرآني؛ لأن التناسب فيه يتناقض مع احتمال وروده عن غير الله–تبارك وتعالى؛ كما قال سبحانه: [أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيراً] النساء ٨٢.

– هذا العلم هو الثمرة الشريفة لبقية علوم القرآن الأخرى؛ إذ يمثل بالنسبة لها النتيجة المباشرة، ويأتي معظمها أشبه بالمقدمات له.

– من فوائد وأهمية هذا العلم بيان مدى تناسق وتناغم أجزاء القرآن بعضها مع بعض، فقد صدر عن الحكيم الذي أحكم كل جزء فيه إحكاماً صادراً عن حكمة إلهية مقصودة لذاتها كما قال: [الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ] هود ١.

–هذا العلم يبين حكمة التشريع الإلهي، ووجه المصلحة من وراء هذا التشريع، توكيداً على بيان أوجه إعجاز القرآن؛ والذي عده الإمام الرازي–رحمه الله تعالى– أعظم أوجه إعجازه، وكل ذلك لبيان أن معجزة الرسول الخاتم– القرآن– مصدر متجدد للإعجاز بما؛ إعمالاً لحديث الحبيب– صلى الله عليه وسلم– والخاص

٦– مفاتيح الغيب:التفسيرالكبير ١٠٦/٧، أبوعبدالله محمدبن عمربن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخرالدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ)، الناشر: دارإحياءالتراث العربي– بيروت، الطبعة: الثالثة– ١٤٢٠ هـ

(ISSN: 2536- 9555)

بتجدد عمل المعجزة القرآنية مع كل جيل؛ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ– رضي الله عنه– قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ– صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا مِنَ الأَنْبِيَاءِ نَبِيٌّ إِلَّا أُعْطِيَ مَا مِثْلُهُ آمَنَ عَلَيْهِ البَشَرُ، وَإِنَّمَا كَانَ الَّذِي أُوتِيتُ وَحْيًا أَوْحَاهُ اللَّهُ إِلَيَّ، فَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَكْثَرَهُمْ تَابِعًا يَوْمَ القِيَامَةِ»(٧).

– هو من أجل العلوم التي يجب صرف الهمم إلى معرفتها؛ كونه يمثل الآلة التي تعين على تدبر القرآن الكريم وهو الباب الأوسع للاتصال بالنور القرآني والهدى الإلهي؛ تحقيقاً للوعد الإلهي: [كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ] ص٢٩.

–ينتصر هذا العلم بشكل كبير لقضية الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم، والتي يتسم بها القرآن الكريم في سبيل تحقيق المقاصد العليا لهذا الكتاب في موضوع الهداية، ومسائل التشريع، ولعل من أدق ما قيل في هذا بياناً لاتحاد موضوعه مع تفرق آياته وسوره:" إنها على حسب الوقائع تنزيلاً، وعلى حسب الحكمة ترتيباً، وجاءت كلمة الأستاذ الجليل الدكتور محمد عبد الله دراز– رحمة الله عليه– في إيجاز مكثف: إن كانت بعد تنزيلها– أي الآيات والسور– قد جمعت عن تفريق؛ فلقد كانت في تنزيلها مفرقة عن جمع، وكذلك كلمة الزركشي الجامعة المانعة في هذا الباب:" بل عند التأمل يظهر أن القرآن كله كالكلمة الواحدة"(٨).

٧– حديث صحيح رواه البخاري ومسلم، سبق تخريجه ص ٢

٨– انظر/ النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن الكريم ١٨٨،فضيلة الشيخ/ محمد بن عبد الله دراز (المتوفى: ١٣٧٧هـ)، اعتنى به: أحمد مصطفى فضلية، قدم له: أ. د. عبد العظيم إبراهيم المطعني، الناشر: دار القلم للنشر والتوزيع، الطبعة: طبعة مزيدة ومحققة ١٤٢٦هـ– ٢٠٠٥م، مصابيح الدرر في تناسب آيات القرآن الكريم والسور ٣٣، المؤلف: عادل بن محمد أبو العلاء، الناشر: الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، الطبعة: العدد١٢٩– السنة ٣٧– ١٤٢٥هـ

***المسألة الثالثة: أنواع هذا العلم:**

– أوضح العلماء أن هذا العلم ينقسم قسمين هما(٩):

أحدهما: مناسبة الآي بعضها لبعض، بحيث يظهر ارتباطها وتناسقها كأنها جملة واحدة.

ثانيهما: مناسبة السور بعضها لبعض.

ثانياً المبحث التطبيقي

وفيه تمهيد وأربع عشرة مسألة، كما يلي:

***التمهيد**: مناسبة مضمون الربع المختار لمضمون الجزء الثلاثين:

جاء الجزء الثلاثون من القرآن الكريم للتوكيد على عدد من القضايا الهامة بالنسبة لتصور الإنسان المسلم عن الإله المعبود بحق، وعن اليوم الآخر، وعن الكون من حوله، وعلاقة المسلم بما فيه من ملائكة، وسماء وأرض، ومخلوقات أخرى منظورة له وغير منظورة، كل ذلك بنياناً للتصور الصحيح لدى المؤمن؛ دفعاً للعمل النافع في الدارين، وأهم القضايا التي أكد عليها هذا الجزء بشكل أصيل إنما هي صفات الإله المعبود، والتوكيد على البعث والنشور للحساب في اليوم الآخر، وتفاصيل اليوم الآخر، ومصائر الخلق فيه بناءً على ما قدموه في دار البلاء والعمل.

– وقد جاء الربع الأخير من هذا الجزء ليؤكد بشكل كبير على محاور هامة من القضايا التي أرساها الجزء الثلاثون كما يلي:

٩– مصابيح الدرر ٤٦

(ISSN: 2536- 9555)

– التوكيد على صفات المعبود بحق وفق بناء قرآني فريد في خطاب الكينونة الإنسانية بمكوناتها المتنوعة؛ تقدمة لضرورة الإيمان الجازم بالإله الخالق الباريء المصور والمدبر، والذي كما أن له الخلق يجب أن يكون له الأمر؛ لأن الجميع إليه صائرون، وهم أمامه مدينون.

– التوكيد على صدق نبوة الرسول الخاتم؛ بالمعجزة الإلهية التي خاطبت الكيان قبل أن تخاطب الأركان، وأبهرت القلوب قبل أن تقنع العقول، وما تفرع عن هذه المعجزة من إخبار بالغيب، وقصص للسابقين، ووعد ووعيد لجموع المخاطبين.

– التوكيد على البعث والنشور، وما يتفرع عنهما من جزاء وثواب وعقاب، وجنة ونار، كل ذلك خطاباً للناس أجمعين مؤمنهم وكافرهم على السوء، حتى استوى في هذا الخطاب النبي البشير النذير نفسه مع غيره من المخاطبين كما في السورة المدنية الوحيدة في هذا الربع القرآني– سورة النصر– التي جعلها الله– تبارك وتعالى– توطئة بنعيه وبياناً لقرب أجله، وإعلاناً عن تمام رسالته كما قال: [إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ، وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا، فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا] النصر١: ٣ حيث جعلها الله–تعالى– موعظة بليغة للحبيب عن ضرورة الاستعداد ليوم الدين بالتسبيح والتحميد والاستغفار.

– جاء البناء التراكيبي لآيات هذا الربع متسقاً ومتناسباً مع الغرض المعنوي الذي جاء الجزء الثلاثون به، وكذلك مع الشكل اللغوي لبنيان هذا الجزء؛ فهي آيات قصار، سريعة الطرق على مدارك الحس والشعور لدى المخاطبين بغرض معنوي يهم المخاطبين في المعاش والمعاد.

– لأجل ما سبق يمكن القول: إن هذا الربع من القرآن الكريم بشكل عام جاء متناسباً في الشكل والمضمون مع السياق القرآني، والبناء التراكيبي للمعاني التي جاء بها الجزء الثلاثون.

المسألة الأولى

سورة العاديات

أولاً: مقاصد السورة وموضوعها: جاءت السورة المباركة لبيان غرضين أساسيين، ومقصدين هامين بالنسبة للمكلفين(١٠) كما يلي:

١- ذم خصال نفسية، وأخلاقيات سلوكية مرد عليها الكافرون ومن لحقهم من المنافقين.

٢- التوكيد على صيرورة جميع الخلق ليوم الدين؛ للحساب والمجازاة.

ثانياً: مناسبة موضوع السورة لمضمون الربع المختار: وتتضح مناسبة موضوع السورة بشكل كبير مع مقاصد ومعاني ومضمون الربع المختار في اشتراكه معه على توكيد البعث والجزاء، وضرورة الاستعداد لهذا اليوم بما يتطلبه التوجيه القرآني عامة وتوجيه هذا الجزء من القرآن المكي خاصة من إيمان صحيح، وأعمال صالحة ؛ ذلك أن قضية العقيدة جاءت كالأصل الذي يتفرع عنه غيره، وكالأساس الذي يبنى عليه البنيان التام بعده.

١٠– التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد» ٤٩٨/٣٠،محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى: ١٣٩٣هـ)، الدار التونسية للنشر– تونس، ١٩٨٤ هـ، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ٥٣٧/١ ، المؤلف: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (المتوفى: ٨١٧هـ)، المحقق: محمد علي النجار، الناشر: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية– لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة.

(ISSN: 2536- 9555)

ثالثاً: مناسبة السورة مع ما قبلها–الزلزلة: يتضح التناسب بين السورتين ببيان ما يلي:

- جاءت كل سورة من السورتين لغرض إثبات البعث والجزاء في الآخرة.
- لما ذكر الحق– تبارك تعالى–في الزلزلة دقة المجازاة والحساب يوم القيامة على القليل والكثير: [فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ، وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ] الزلزلة ٧، ٨ ناسب التفريع على ذلك بتتميم شكل الحساب وأن ذلك عن علم الله– تعالى– بما كان في صدور أولئك بقوله في العاديات: [إِنَّ رَبَّهُمْ بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَخَبِيرٌ] العاديات ١١، فمن علم مثاقيل العمل استحق وصفه بتمام الخبرة.
- لما ذكر في الزلزلة الحديث عن مثاقيل العمل خيراً أو شراً والمكافأة على ذلك في الآخرة، ناسب أن تأتي سورة العاديات كالفاضحة لحال النفوس أمام المال الذي هو وسيلة الأعمال من خير أو شر؛ فأبان– تبارك وتعالى–أن طبع الإنسان الذي لم يُزكِ نفسه بالإيمان هو الحب الشديد للمال، ثم أبان مآل هذا كله بأنه الزوال ولا يبقى إلا العمل الصالح؛ وعظاً وتوجيهاً للنفوس أن تستقيم على طريق الهداية(١١).
- جاءت بعض الآيات في السورتين متناسبة تناسباً شكلياً، قال السيوطي: لا يخفى ما بين قوله في الزلزلة: [وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا] الزلزلة ٢، وقوله في العاديات:[إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ] أي من مشابهة ظاهرة(١٢).

١١– انظر البرهان فى تناسب سور القرآن ٣٧٤، المؤلف: أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي الغرناطي، أبو جعفر (المتوفى: ٧٠٨هـ)، تحقيق: محمد شعباني، دار النشر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية . المغرب، عام النشر: ١٤١٠ هـ– ١٩٩٠ م

١٢– أسرار ترتيب القرآن ١٦٦، المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، الناشر: دار الفضيلة للنشر والتوزيع.

رابعاً: المناسبة بين اسم السورة وموضوعها:

- قال العلماء إن هذه السورة سميت بـ" والعاديات"لما يلي:

- إجراءً لافتتاحيتها علماً على هذه السورة (١٣)، وذلك أن هذا اللفظ لم يرد في سورة أخرى غيرها، وتظهر المناسبة لهذا الاسم مع الموضوع إذا تأملنا أن بدأ السورة وتسميتها بالعاديات وهي الخيل إذا أطلقت وصولاً للهدف المرصود لها، يتناسب مع الموضوع الرئيس الذي تؤكد السورة عليه بشكل أكيد وهو صيرورة جميع المكلفين إلى الله– تبارك وتعالى– للحساب كما قال: [يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ] الانشقاق ٦، فكما أن الخيل تعدو للوصول إلى ما هي له، فالمكلفون صائرون إلى مصائرهم التي قدموا لها؛ فكان في ذلك الوعظ المعنوي بضرورة الاستعداد بالعمل لهذا المصير.

- كما أن الإنسان لا يتخذ من العاديات– وهن الخيل المعدة للعدو والقتال– إلا ما كان طائعاً لصاحبه، وجب على الإنسان ألا يجعل اختياره أولى من اختيار مولاه، فكما لا يحب من الخيل إلا الطائعة الذلول، وجب عليه مع مولاه أن يكون طائعاً ذلولاً،حتى ينال حب مولاه.

خامساً: المناسبة بين افتتاحية السورة وخاتمتها: افتتح الله– تبارك وتعالى– السورة الكريمة بهذا النوع من النعم التي انعم بها على الإنسان "وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا" وختمها– تبارك وتعالى–بقوله: [إِنَّ رَبَّهُمْ بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَخَبِيرٌ] العاديات ١١، وتتضح المناسبة بين الافتتاحية والخاتمة في رابطة معنوية؛ فكما أن الإنسان لا يصطفى لنفسه من الخيل إلا ما خبره وعلم بكريم طبعه فكذلك– ولله المثل الأعلى– يوم القيامة لن يتخذ الله– تبارك وتعالى– له أصفياء من خلقه إلا من خبر كريم طباعهم وجميل فعالهم في الدار الدنيا فصاروا أهلاً لاصطفائه ودار كرامته.

١٣– انظر/ بصائر ذوي التمييز ٥٣٧/١، والتحرير والتنوير ٤٩٧/٣٠

(ISSN: 2536- 9555)

سادساً: مناسبة الآيات في السورة الواحدة: جاءت آيات هذه السورة الكريمة مترابطة ببعضها البعض كأنها مقطوعة واحدة ، كما جاءت كل فاصلة فيها مناسبة لما سيقت له من أغراض معنوية وأسلوبية، غير أنها تنوعت في عرض المراد من المعنى على طريقة القرآن الكريم، ويتضح التناسب بين آياتها كما يلي:

- أولاً جاءت الآيات الثمانية الأول مترابطات في أسلوب القسم ما بين أداة القسم، وما أقسم الله– تعالى– به وما أقسم– تبارك وتعالى– عليه، فأقسم– تبارك وتعالى– بالعاديات، والموريات والمغيرات وحالة هذه الفواعل من إثارة الغبار، وتوسيطهن للمغار عليه تحقيقاً للغنائم، وجاء المقسم عليه بيان سمات بعض المكلفين من نكران وجحود لله– تبارك وتعالى، ومدى حب الإنسان الشديد للمال على سبيل التهجين، وفي ذلك من التناسب ما فيه من المناسبة بين المقسم به– وكلها آلات وأدوات لتحصيل المال، أو هي أحد أبرز مظاهر المال التي تزينت لنفس الإنسان– وبين حب المال المترسخ في نفسه؛ تعريضاً بالحال التي لا يرضاها الله– تبارك وتعالى– أن يكون عليها المؤمن أبداً.

- جاءت الآيات متسلسلة متناسبة مع بعضها البعض كما يلي:

*[افتتح القسم بالعاديات ضبحاً تعبيراً لها بهذا الحال عن شدة إقبالها على بذل الجهد العظيم؛فحسن أن تأتي الآية التالية لها معبرة عن مظهر مادي مرأيّ نتيجة مباشرة لهذا الجهد وهو أنها بفعلها ذاك وعلى حالتها تلك استتبع تلك الحالة من الغزو إنتاج النار قدحاً، وإغارتها صبحاً،ومجيء بيان الإغارة صبحاً؛ لأنه كان أنسب الأوقات لدى المخاطبين في الإغارة تحقيقاً لمراد أصحاب الخيول العادية تلك، ثم استتبع ذلك رسم صورة تلك العاديات داخل المعركة على طريقة القرآن في تصوير اللوحة المجردة وكأنها واقعاً حياً مرئياً، ذلك أن إثارة النقع نتيجة مباشرة لتلك الحركة السريعة العنيفة الجادة من تلك الخيول العاديات، وفي لمحة سريعة ينتقل النص لتفاصيل اللوحة المعبرة عن حالة الغزو تلك راسماً

صورة تلك الخيول وعليها أصحابها وقد توسطت من أغاروا عليهم في قوله– تعالى: [فوسطن به جمعاً] فجاء هذا التناسب البديع بين الآيات معبراً عن تلك الحركة التي حفلت بها هذه السورة متناسبة متسلسلة تسلسلاً منطقياً وتعبيرياً؛ تدليلاً أن هذا الكتاب: [لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ] فصلت ٤٢، وأنه: [كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ] هود١، وجاء الكلام في الآيات الرابعة وما تلاها على صيغة الفعل الماضي المعطوف على الأوصاف السابقة "للإشارة إلى أن الكلام انتقل من القسم إلى الحكاية عن حصول ما ترتب على تلك الأوصاف الثلاثة؛ ما قصد منها من الظفر بالمطلوب الذي لأجله كان العدو والإيراء والإغارة بعده وهي الحلول بدار القوم الذين غزوهم(١٤).

* تبع ذلك جواب القسم، وقد جاء متناسباً مع ما سبقه من آلاءٍ أقسم بها الله– تبارك وتعالى– على هذا الجواب، وهو أن تلك النعم سابقةَ الذكر كانت تستلزم ممن أنعم الله– تعالى– بها عليهم أن ينتبهوا لتلك النعم؛ ويتوجهوا بها شكراً لله– تعالى– الذي وعد الشاكرين بزيادة نعمه عليهم:[وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ] إبراهيم/٧، لكن كان حال غير الشاكرين هو جبلة منحرفة عن شكر تلك النعم فجاء جواب القسم متناسباً مع الحكم العام على كل الإنسان عدا من أدرك صلاح نفسه فاهتدى، ولما كان الأصل في الباب قلة أهل الإيمان كما قال تعالي: [وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ] سبأ ١٣، وكثرة أهل الضلال لقوله تعالى: [وَإِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ] الأنعام ١١٦ ناسب الحديث لبيان غلبة الجحود بقوله تعالى:[إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ] للتعبير بالجنس عن

١٤– انظر/ التحرير والتنوير ٥٠١/٣٠

(ISSN: 2536- 9555)

الحالة الغالبة في الإنسان من سوء طبعه، وغلبة الكنود والجحود والشح والكفر عليه.

- وجاءت الآية التالية لهذه الآية: [وَإِنَّهُ عَلَى ذَلِكَ لَشَهِيدٌ] مؤكدة هذا الحكم الذي أقسم عليه الله– تبارك وتعالى، ولما كان الحكم المقسم عليه وهو الجحود والكفران طبيعة نفسية ناسب قوله–تبارك وتعالى "وإنه على ذلك لشهيد" كي يكون الشاهد على تلك الطبيعة المنكودة هو الإنسان نفسه، فلا يملك أحد غير الله– تعالى– أن يطلع على حاله ويخبُر نفسه إلا الإنسان، فناسب أن تكون الشهادة على ذلك شهادة ذاتية من المرء على نفسه، كشفاً لما يخفيه، وهتكاً لطبعه اللئيم لعله يعود ويتوب ويئوب.

- قوله: [وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ] عطف على جواب القسم بياناً لسُنة نفسية يعيشها البشر أجمعون، وهو حب الإنسان للمال بشدة، والتعبير عنه بالخير على صيغة الجنس لأكثر من اعتبار؛ فسره أكثرهم بالمال، وتعبيره "بالـ" التي للجنس دلالة على تأصل هذه السمة النفسية في طبيعة الإنسان–كل الإنسان– كما قال ربنا– تبارك وتعالى:[زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا] آل عمران ١٤ ومناسبة ذكر حب الإنسان عموماً للمال في هذا الموضع هو أن ما سبق ذكره من مطلع السورة من مخلوقات أقسم الله بها على هذا الحكم هي أحد أوجه الشهوات التي عشقتها النفوس بقوله: [زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ] والتي تعبر تعبيراً دقيقاً عن المال، ومآلها جميعاً إنما هو لأجل تحصيل المال.

– مناسبة قوله تعالى: [أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ]: لما تحدثت الآيات قبل عن حرص الإنسان الشديد على المال والذي يدفعه للكفر والجحود، جاءت هذه الآيات مناسبة للتذكير بمآل جميع البشر، وأن مآل الجميع هو تلك القبور التي لا يتخلف عن سكناها أحد من الناس، وأن من يجمع المال مآله أن يجتمع

في القبور بحرصه وحبه المتأصل في نفسه، والذي لامحالة يوماً ما سيبعثر جميعه، وما اكتنزه من حب المال في صدره سيتحصل عليه يوم القيامة، ولما ذكر ما في القبور وبعثرته وهو الجانب المادي في الإنسان، وتحصيل ما في الصدور وهو الجانب المعنوي من حب الشهوات، والنكران والكنود والجحود ناسب أن تأتي الفاصلة الخاتمة للسورة على أسلوب القصر المؤكد بالقسم ولام التوكيد؛ بياناً أن الله– تعالى– خبير بهم وبما تخفيه صدورهم وما تجمعه جيوبهم، فقال: [إِنَّ رَبَّهُمْ بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَخَبِيرٌ] يعني خبير بأحوالهم المادية والمعنوية على السواء.

سابعاً: مناسبة الفاصلة القرآنية للآية الواردة فيها: الفاصلة القرآنية كما عرفها العلماء هي: كلمة آخر الآية، كقافية الشعر، وقرينة السجع، وتقع الفاصلة عند الاستراحة في الخطاب، لتحسين الكلام بها،وهي الطريقة التي يباين القرآن بها سائر الكلام(١٥)، والفاصلة القرآنية لها أسرار عجيبة تدل على بديع صنعة هذا الكتاب، وتتضح جماليات الفاصلة وتناسبها مع ما سيقت الآيات له من أغراض كما يلي:

*قوله تعالى: [وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا] العاديات١،الفاصلة في هذه الآية هي كلمة" ضَبْحًا"، قال الرازي: الضبح أصوات أنفاس الخيل إذا عدت، وهو صوت ليس بصهيل ولا حمحمة، ولكنه صوت نفَس (١٦) وقد جاءت الفاصلة مناسبة ههنا للتعبير عن حالة العاديات، وتعد هذه الفاصلة من الشواهد التي تقوي تفسير

١٥– انظر/ البرهان في علوم القرآن ٥٣/١، المؤلف: أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (المتوفى: ٧٩٤هـ)، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة: الأولى، ١٣٧٦ هـ– ١٩٥٧ م، الناشر: دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه، الإتقان في علوم القرآن ٣٢٣/٣، جماليات المفردة القرآنية ٣٠٩، المؤلف: أحمد ياسوف، الناشر: دار المكتبى– دمشق، الطبعة: الثانية، ١٤١٩ هـ– ١٩٩٩م

١٦– مفاتيح الغيب ٣٢/ ٢٥٨، التحرير والتنوير ٤٩٨/٣٠

(ISSN: 2536- 9555)

العاديات بالخيل اللواتي أُعددن للغزو؛ قال ابن منظور "وضبحت الخيل في عدوها تضبح ضبحاً: أسمعت من أفواهها صوتاً ليس بصهيل ولا حمحمة؛ وقيل: تضبح تنحم، وهو صوت أنفاسها إذا عدون"(١٧)، حيث يعد هذا الوصف لحالة المقسم به دليلاً على انصراف الكلام إلى الخيل، يقوي ذلك ما تبعها في الآية التالية وهو قوله فالموريات قدحاً، ولا يصلح وصف حيواناً بالموريات إلا الخيل، لما يوضع في حوافرها من سنابك الحديد التي تحافظ على أقدام تلك الحيوانات.

–وقوله تعالى: [فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا] العاديات٢، جاءت كلمة " قَدْحًا"فاصلة قرآنية للآية الكريمة وصفاً للخيل التي تعدو في سيرها، والقدح هو حك جسم بجسم لاستخراج النيران حقيقة أو مجازاً، وقد جاءت الفاصلة مناسبة لوصف الخيل في عدوها للغزو والجهاد؛ كناية عن شدة عدوها وسيرها نحو الهدف المرصود لها؛ في صورة تجعل عدوها سبباً لتطاير الشرر من شدة العدو وهو ما يناسب قوله "فَالْمُورِيَاتِ"(١٨).

–قوله– تعالى: [فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا] العاديات٣ الفاصلة في الآية هي ظرف الزمان" صُبْحًا"وقد جاء مناسباً لوصف قوله– تعالى– "فَالْمُغِيرَاتِ" على كلا التفسيرين للمراد بالمغيرات الخيل أو الإبل؛ لأن الإغارة تطلق على الاندفاع في السير، وصبحاً ظرف زمان فإذا فسر «المغيرات» بخيل الغزاة فتقييد ذلك بوقت الصبح؛ لأنهم كانوا إذا غزوا لا يغيرون على القوم إلا بعد الفجر، ولذلك كان منذر الحي إذا أنذر قومه بمجيء العدو نادى: يا صباحاه، قال تعالى: [فَإِذَا نَزَلَ

١٧– لسان العرب ٥٢٢/٢، المؤلف: محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: ٧١١هـ)، الناشر: دار صادر– بيروت، الطبعة: الثالثة– ١٤١٤ هـ

١٨– التحرير والتنوير ٣٠/ ٤٩٩

بِسَاحَتِهِمْ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ] الصافات: ١٧٧، كما كانوا يدفعون الإبل من مزدلفة إلى منى صباح يوم النحر(١٩).

–وقوله– تعالى: [فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعًا] العاديات٤ لفظة "نَقْعًا" فاصلة للآية الكريمة، وتبرز مناسبتها لما ذكر إثارة العاديات صباحاً، وحركتهن الممتدة بتلك السرعة الفائقة لدرجة إطلاق النار بسنابكها ناسب أن يذكر النقع مفعولاً لتلك الإثارة مع تلك الحركة القوية، فإن الأرض ليست كلها قطعة حجر صلب بل لابد من وجود الأتربة والرمال فيها، ما يتلبس بتلك الحركة العنيفة أن ينتج هذا النقع الكثيف.

*وقوله تعالى: [فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا] العاديات ٥ جاءت الفاصلة القرآنية لهذه الآية مناسبة تمام التناسب لها لأن التوسط لا يكون إلا في الجمع من الناس أي صرن في وسط القوم المغزوون.

*وقد ناسب عطف ما سبق بالفاء للدلالة على ترتب ما بعد كل منها على ما قبلها فان توسط الجمع مترتب على الاثارة المترتبة على الاغارة المترتبة على الإيراء المترتب على العدو(٢٠).

١٩– التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج ٣٦٨/٣٠ المؤلف: د وهبة بن مصطفى الزحيلي الناشر: دار الفكر المعاصر– دمشق الطبعة: الثانية، ١٤١٨ هـ، التحرير والتنوير ٤٩٨/٣٠، محاسن التأويل ٥٢٨/٩ المؤلف: محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (المتوفى: ١٣٣٢هـ) المحقق: محمد باسل عيون السود الناشر: دار الكتب العلميه– بيروت الطبعة: الأولى– ١٤١٨ هـ

٢٠– روح البيان ٤٩٧/١٠،المؤلف: إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي، المولى أبو الفداء (المتوفى:١١٢٧هـ)، الناشر: دار الفكر– بيروت، تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن ٢٢/ ٢٥١ المؤلف: الشيخ العلامة محمد الأمين بن عبد الله الأرمي العلوي الهرري الشافعي، إشراف ومراجعة: الدكتور هاشم محمد علي بن حسين مهدي، الناشر: دار طوق النجاة، بيروت– لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ– ٢٠٠١ م

(ISSN: 2536- 9555)

*وقوله تعالى: [إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ] العاديات ٦ لما قدم الحق– تعالى– القسم بما سبق جاءت هذه الآية جواباً للقسم، والفاصلة في هذه الآية هي "لَكَنُودٌ" وجاءت الفاصلة مناسبة لما سبقها فإن هذه الصفة لازمة من لوازم الإنسان لا ينجو منه أحد إلا من تطهر بالإيمان وتزكى بهدى الرحمن، وهو وصف على التغليب، ومناسبتها لما سبق أنه تعالى عدد النعم على الإنسان في شكل المقسم به، وأبان بعد ذلك الطبع الذي جبل عليه الخلق بجواب القسم، وقدم "لربه" دلالة على التخصيص، وذكر هذا الوصف تهييجاً للمؤمنين عن فعل ما يمحو هذا الوصف عنهم ليكونوا من الفائزين الذين استثناهم الحق كما ورد في قوله تعالى: [وَالْعَصْرِ، إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ، إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ] العصر ١: ٣ .

*وقوله تعالى:[وَإِنَّهُ عَلَى ذَلِكَ لَشَهِيدٌ] العاديات٧ الفاصلة " لَشَهِيدٌ " لما ذكر الحق– كنود– وجحود الإنسان كل الإنسان بربه تعالى– أردف ذلك ببيان أن الإنسان في قرارة نفسه يشهد على جحوده وكفرانه إذا خلا بنفسه، أو تعرى من أسباب طغيانه التي هي دافع جحوده كما قال:" كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَيَطْغَى، أَنْ رَآهُ اسْتَغْنَى "العلق ٦، ٧.

*قوله–تعالى:[أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ] لما ذكر الحق تبارك وتعالى– وصف الإنسان قبل ذلك بالكنود، وهو أحد صفات الأرض، وأردف ببيان شهادة الإنسان على نفسه في قرارة نفسه بجحوده لربه، كأن ذلك استدعى شهادة اليوم الآخر فناسب الحديث عن خروجهم من قبورهم لإقامة شهادتهم أمام الله تعالى فجاءت الفاصلة " القبور"مناسبة لهذا.

*قوله تعالى:[وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ] لما ذكر الحق– تبارك وتعالى– أن الإنسان نفسه شهيد على جحوده لله–تبارك وتعالى، ومستقر هذه الشهادة التي لا

يعلمها من الإنسان إلا الله–تبارك وتعالى– ثم يعلمها المرء نفسه عن نفسه، وكان صدره هو مستقر سره ناسب الحديث في الفاصلة عن تحصيل ما في الصدور.

قوله تبارك وتعالى: [إِنَّ رَبَّهُمْ بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَخَبِيرٌ] قالوا: "الخبير: هو الذي لا تعزب عنه الأخبار الباطنة فلا يجري في الملك والملكوت شيء ولا تتحرك ذرة ولا تسكن ولا تضطرب نفس ولا تطمئن إلا ويكون عنده خبرها(٢١) وعليه لما كان الحديث في الآية عن يوم القيامة ناسب أن تأتي الفاصلة في الآية باسم الله– تعالى " الخبير " تعبيراً عن إحاطته بهم ظاهراً وباطناً، وهم لا يملكون لأنفسهم في ذاك اليوم علماً ولا عملاً بل هو موقف الحساب والجزاء.

المسألة الثانية

أسرار المناسبة في سورة القارعة

أولاً: مقاصد السورة: جاءت السورة الكريمة لبيان مقصدين هامين وهما:

- التوكيد على قضية البعث والنشور، وذكر الأهوال المتعلقة بتفاصيل ذلك.
- بيان أصناف الناس ومصائرهم يوم القيامة وفق ما قدموا في الحياة الدنيا.

ثانياً: مناسبة موضوع السورة لمضمون الربع المختار: كما هو واضح من مقاصد السورة فإنها تسير على طريقة السور المكية عامة، وهذا الربع الواردة فيه على وجه الخصوص بياناً لتفاصيل العقيدة، وبناءً لتصورات المؤمنين عن اليوم الآخر، وقدرة الإله المعبود بحق، فتظل هذه السورة جزأً من كل الربع الواردة في ثناياه، سواء في قضاياه المتناولة، أو في أسلوبه البديع في تقريب البعيد، وتجسيد

٢١–المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى ١٠٣ المؤلف: أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (المتوفى: ٥٠٥هـ)المحقق: بسام عبد الوهاب الجابي، الناشر: الجفان والجابي– قبرص، الطبعة: الأولى، ١٤٠٧– ١٩٨٧

(ISSN: 2536- 9555)

المجرد، أو في بنائه اللغوي والبلاغي القائم على الآيات القصار الحاملة للمعاني الكبار.

ثالثاً: مناسبة السورة لما قبلها: جاءت مناسبة هذه السورة لما قبلها لاعتبارات متعددة كما يتضح:

- لما أشار– تبارك وتعالى– في خاتمة العاديات إلى يوم الدين، ويوم القيامة بقوله–تعالى: [إِنَّ رَبَّهُمْ بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَخَبِيرٌ] كأنه قيل: وما ذلكم اليوم؟ فجاء الرد التعريفي لهذا اليوم بهذه السورة وافتتاحيتها أنه يوم القارعة، وهو اسم من أسماء القيامة كالحاقة، والطامة، والصاخة، وغيرها(٢٢).

- ولما ذكر في العاديات حالتهم: [إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ] وكأنهم خرجوا من قبورهم غير منتبهين، ولا مدركين كانوا محتاجين أن يتبع ذلك القارعة التي تقرع أسماعهم فتخرجهم من غفلتهم، وتوقظهم من نومتهم، وتفيقهم من سكرتهم، كأنه قيل بعد مجيء بعثرة القبور مسندة إلى المفعول: متى يكون ذلك فجاءت القارعة إجابة عليه(٢٣).

رابعاً: المناسبة بين اسم السورة وموضوعها:سميت هذه السورة بـ" القارعة"(٢٤) تسمية لها بافتتاحيتها، وهو التسمية بلفظ لم يرد إلا في هذا الموقع، وبحدثٍ عظيم من أحداث اليوم الآخر، والعلاقة واضحة بين اسم السورة وموضوعها؛إذ يعد هذا الحدث الذي عنون اسماً للسورة هو من أبرز أحداث تفاصيل

٢٢– انظر/ مفاتيح الغيب ٣٢/ ٢٦٥

٢٣– انظر/ نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ٢٢/٢٢٠

٢٤– انظر/ التحرير والتنوير ٣٠/٥٠٩، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج ٣٠/ ٣٧٤ المؤلف: د وهبة بن مصطفى الزحيلي، الناشر: دار الفكر المعاصر– دمشق، الطبعة: الثانية، ١٤١٨هـ.

موضوعات السورة،وهو المقدمة لما سينبني عليه بعد ذلك، ولم يذكر في القرآن إلا في هذا الموضع.

خامساً: المناسبة بين افتتاحية السورة وخاتمتها:العلاقة بين افتتاحية هذه السورة وبين خاتمتها هي علاقة معنوية وليست لفظية محسوسة؛ حيث افتتحت السورة بقوله تعالى: [الْقَارِعَةُ، مَا الْقَارِعَةُ، وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ] دل على أن تلك القارعة ليست أبداً كغيرها من الأصوات بل هي أفظع وأبشع وأعظم وأكثر هولاً، وهو حديث عن محسوس مسموع بصياغة تزيد من تهويل فظاعته على طريقة القرآن في عرض الحقائق التي لا يدرك حقيقتها العقل البشري مباشرة إلا بطريقة القرآن البديعة، ثم ختم السورة بقوله: [وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ، نَارٌ حَامِيَةٌ] فهو سوق المجرد في صورة محسوسة مهولة ليست كالمعهود مما جسد به المجرد، فهي نار حامية، لكنها ليست كالنار المعهودة لديكم، بل أبشع وأفظع، وكأنه يقول في المطلع القارعة والتي في فظاعتها ليست كقوارعكم، ولا ما عهدتموه من القوارع، وفي الخاتمة كأنه يقول إنها النار البشعة،والتي ليست أبداً كنيرانكم!!!!

سادساً: مناسبة الآيات وفواصلها في السورة: قوله- تبارك وتعالى: [الْقَارِعَةُ، مَا الْقَارِعَةُ، وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ] القارعة ١:٣ جاءت الآيات الثلاث مترابطات متممة لبعضها، والغرض منها هو التهويل والتنبيه والتعليم، والفاصلة فيها جاءت على الجناس التام، وهو مما له أثر صوتي مؤثر فيما سيقت له الألفاظ من أغراض ومعاني.

- قوله تعالى: [يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ] القارعة ٤، جاءت هذه الآية الكريمة مناسبة لما قبلها على سبيل التفسير والتوضيح، حيث إن قوله- تبارك وتعالى: [وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ] منبيءٌ بوعد الكريم- تبارك وتعالى- بإعلام حبيبه- صلى الله عليه وسلم- دلالة ما ساقه إليه قبل ذلك بقوله: [مَا

(ISSN: 2536- 9555)

الْقَارِعَةُ](٢٥)، وذلك برسم صورة ذهنية ممكنةِ التصور والإدراك؛ لأجل تقريب التصور بعيد الإدراك، وهي من أدوات القرآن الكريم في تقريب المعنى البعيد عن الذهن، لجعله ممكن التصور، والفاصلة القرآنية في هذه الآية الكريمة " الْمَبْثُوثِ" والتي تعني المنشور جاءت مناسبة للمعنى المراد من الآية الكريمة، فعلى الرغم أن المشبه به هو حالة الفراش والتي افترق المفسرون في تفسيرها(٢٦) ما بين قائلين أنها الهوام والحشرات والفراشات الطائرة، وما بين قائلين بأن المراد منها صورة صغار الجراد، غير أن الوصف بالمبثوث والتي تعني المنشور جاءت لتضيف للنص بعداً دلالياً يساهم بشكل كبير في استجماع كل ما تحتمله كلمة الفَراش من تفاسير متنوعة، فكأن الصورة تعبر عن حالة الناس التي تجمع بين صفة الفراش في انتشاره، وتطايره في اتجاهات شتيٍ على غير هدىً، وبين صورة صغار الجراد الذي يعبر عن الكثرة والانتشار الواسع والخروج من باطن الأرض كما قال الله– تعالى– في موضع آخر: [خُشَّعًا أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ] القمر ٧.

- قوله تعالى: [وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ]القارعة٥، والمناسبة بين هذه الآية الكريمة وبين ما سبقها أنها تتميم لها، واستئناف في رسم الصورة التي افتتحتها الآية السابقة بياناً لأحداث يوم القيامة، وجاءت فاصلة الآية: "الْمَنْفُوشِ" مناسبة لما ساقته الآية من حديث يكشف هول ذلك اليوم حتى لتتحول الجبال

٢٥– تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن ٢٦٩/٣٢

٢٦– انظر/ الدر المنثور ٦٠٥/٨ المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، الناشر: دار الفكر– بيروت، تفسير الماوردي = النكت والعيون ٣٢٨/٦، المؤلف: أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (المتوفى: ٤٥٠هـ)، المحقق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، الناشر: دار الكتب العلمية– بيروت/ لبنان، التحرير والتنوير ٥٠٩/٣٠، ومفاتيح الغيب ٢٦٥/٣٢

إلى حالة من الاضمحلال الشديد تشبه بشكل كبير الصوف المعد للغزل، وهي صورة تجمع بين ألوان الجبال التي كشفتها آيات سورة فاطر: [وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ] فاطر ٢٧، وجمعت الفاصلة القرآنية إليها دلالات أخرى بالوصف بـ" الْمَنْفُوشِ"والتي تستحضر للذهن صورة الصوف المعد للغزل دلالة على المعاني المتداعية: [خفة بعد رزانة– انتفاش بعد رسوخ– بعثرة بعد انتظام– تداخل ألوان بعد صفاء لون..]!!!

- قوله– تبارك وتعالى: [فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ، فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ] القارعة ٦، ٧ هذا المقطع الكريم من هنا حتى خاتمة السورة الكريمة مرتبط ارتباطاً وثيقاً بما سبق الحديث عنه من ذكر أهوال القيامة، وما يعقب النشور، حيث: الميزان، والحساب، والمجازاة كلاً بعمله، وهو– أيضاً– على سبيل التتميم لما افتُتح بيانه عن وزن المثاقيل من أعمال الناس في سورة الزلزلة قبلها، ومناسبته هنا لما قبله جاء على سبيل التتميم والتفصيل لما ورد قبل في سورة العاديات من علم الله– تبارك وتعالى– بما عملوا في الدنيا من دقيق الأعمال وعظيمها، وخفيها وظاهرها، وأنه بهم يومئذٍ لخبير، ولذا ناسبه ههنا ذكر الموازين في حالة ثقلها وخفتها، كما ناسب ذكر الموازين الحديث قبل في الزلزلة عن مثاقيل الذر.

- ومناسبة استخدام "مَوَازِينُهُ"جمعاً باعتبار كثرة الموزونات من أعمال الخير لأهلها، ومن أعمال الشر لأهلها، والتناسب بين " مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ" وبين "مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ" بعدها إنما هو المقابلة بينهما وهي مما يزيد المعنى جمالاً ووضوحاً، وتفصيلاً (٢٧).

٢٧– التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج ٣٠/ ٣٧٦

(ISSN: 2536- 9555)

- وقوله تبارك وتعالى:"وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ، فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ، وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ، نَارٌ حَامِيَةٌ] تفصيل لحال من اتبعوا غير سبيل الإيمان بعد ذكر مصير أهل الإيمان، على سبيل الوعظ والترهيب لعل القلوب تنتفع، ومناسبة هذا الختام لما بعده هو على سبيل الترهيب؛ للزجر من الوقوع في الذنب العظيم المؤدي لهذه الخاتمة التعيسة الموحشة المؤلمة، وهو التكاثر من الأموال والأولاد!!!

المسألة الثالثة

سورة التكاثر

أولاً: مقاصد السورة: جاءت السورة الكريمة للتوكيد على مقاصدَ ثلاثة كما يلي:

– استهجان التعلق والانشغال بالمتاع الزائل على حساب النعيم الباقي.

– التوكيد على البعث والنشور.

– بيان الجزاء الأخروي لمن آثر متاع الدنيا ونسي المتاع المقيم في الآخرة.

ثانياً:مناسبة مقاصد السورة ومضمون الربع:ويتضح مدى مناسبة السورة ومقاصدها الفرعية مع القيم التصورية التي جاء الربع الكريم لبنائها، والتأكيد عليها من خلال المقاصد الفرعية للسورة خاصة(٢٨): [التوكيد على البعث والنشور– التوكيد على الحساب والثواب والعقاب– تصنيف الناس أمام الهدى الإلهي فريقين: فريق في الجنة– وفريق في السعير].

ثالثاً: مناسبة السورة لما قبلها:لما ذكر الحق– تبارك وتعالى– في القارعة مصائر الخلق في الآخرة، فمنهم فريق في العيشة الراضية، وهم الذين سعدوا بالإيمان، وختم السورة بالفريق الذي اتخذ النار مستقراً له في الآخرة كان ذلك تقديماً لعرض

٢٨– انظر/ التحرير والتنوير ٣٠/ ٥١٨، حدائق الروح والريحان ٣٢/ ٢٨٣، تفسير الألوسي ١٥/ ٤٥٢

أحد أهم العلل التي تسبب عنها ذلكم المصير المشئوم؛ فجاءت سورة التكاثر لبيان علة ورود النار لأصحابها، وأن أحد أهم تلك الأسباب كان هو التلهي بالتكاثر من متاع الدنيا ظناً منهم أنه قد يحقق لهم وجهاً من أوجه العيشة الراضية، فكان ذلك مقدمة الوبال عليهم لما ركنوا إليه على غير الهدى الإلهي في الباب.

رابعاً: المناسبة بين اسم السورة وموضوعها: لما كان موضوع السورة الرئيس هو ذم الاستكثار من المتاع العاجل على حساب النعيم الآجل، وارتباط ذاك النعيم الآجل بالإيمان لاجرم جاء اسم السورة معنوناً باسم ما وردت السورة في ذمه، يعني تسمية للسورة باسم موضوعها وهو"التكاثر"على سبيل التهجين له في نفوس المخاطبين، والتهكم ممن لا يستجيب لهذا الذم، وهي تسمية بلفظ فريد لم يرد إلا في هذا الموضع على طريقة العلماء في تسمية السور.

خامساً: المناسبة بين افتتاحية السورة وخاتمتها:لما كانت افتتاحية السورة في ذم التكاثر من الأمور العاجلة التي تفوت على الفطِن النعيمَ الأخروي باعتبار ما تعلقت النفوس بالاستكثار منه هو وجه من أوجه تحصيل النعيم، لا جرم ختم الآيات الكريمة ببيان أن ما استكثروا منه توهماً أنه سيكون أحد أهم أوجه تفويت المتاع الأخروي عليهم، باعتبارهم مسئولين عنه سؤالاً دقيقاً،وذلك كله على سبيل التزكية والوعظ والتذكير؛قال البقاعي–رحمه الله: "فقد التحم آخرها بأولها على وجه هو من ألطف الخطاب، وأدق المسالك في النهي عما يجر إلى العذاب، لأن العاقل إذا علم أن بين يديه سؤالاً عن كل ما يتلذذ به علم أنه يعوقه ذلك في زمن السؤال عن لذاذات الجنة العوالِ الغوال، فكان خوفه من مطلق السؤال مانعاً له عن التنعم بالمباح فكيف بالمكروه فكيف ثم كيف بالمحرم؟ فكيف إذا كان السؤال من ملك تذوب لهيبته الجبال؟ فكيف إذا كان السؤال على وجه العتاب؟ فكيف إذا

(ISSN: 2536- 9555)

جر إلى العذاب؟ فتأمل كلام خالقك ما ألطف إشاراته وأجل عباراته، في نذاراته وبشاراته– والله أرحم"(٢٩).

سادساً: تناسب الآيات وفواصلها في السورة الكريمة:

– قوله– تبارك وتعالى: [أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ، حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ] التكاثر١، ٢ افتتاحية السورة لبيان علة ما ختمت السورة به، على سبيل التهكم، والتوبيخ واللوم، ومناسبة استخدام اللفظ:" أَلْهَاكُمُ "إشارة أن الإلهاء يقتضي الانصراف إلى ما يدعو إليه الهوى مع الإعراض عن غيره، والتكاثر مرتبط بالاستكثار بماديات الحياة الدنيا من أموال وأولاد، واستخدم هنا دون استخدام التفاخر لارتباطه بالاستكثار من الماديات، كما قال: [وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ] سبأ ٣٥، وأما التفاخر الذي يشترك مع التكاثر في كونهما وصفين للحياة الدنيا في قوله تعالى: [اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ] الحديد٢٠، فهو منطلق للحديث عن التعزز المعنوي كالجاه والحظوة بين الناس.

– ومناسبة الآية الثانية: ترتبط بالأولى ارتباطاً غائياً حيث صدرت بحتى الغائية، لبيان مكوث هؤلاء المتكاثرين في تلك الحالة حتى حلوا في قبورهم على سبيل الزيارة وليس على سبيل الإقامة الدائمة، وأن هذه الـ "حَتَّى" تفيد كونهم انقطع عملهم بمجرد وصولهم المقابر، وليس لهم حصول ضده بمجرد حلولهم المقابر(٣٠).

– وقوله تعالى "زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ" جاء مناسباً للمعنى المراد من تلك الآية على أبلغ تعبير؛ إذ أفاد [الإقامة في المقابر على سبيل الزيارة وليست على سبيل الإقامة

٢٩– نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ٢٢/ ٢٣٣

٣٠– انظر/ التحرير والتنوير ٣٠/ ٥٢٠

بما يفيد تحصيل دلالة البعث والنشور بعد الموت، في إشارة لضرورة العمل لذلك، يعضده ما ورد أن أعرابياً سمع هذه الآية فقال: بعث القوم للقيامة ورب الكعبة، فإن الزائر منصرف لا مقيم(٣١).

– مجيء الفعل بصيغة الماضي والدال على المستقبل لاعتبار هذا الأمر المستقبلي حتمي الوقوع كما لو كان حصل زمن نزول اللفظ الشريف].

– ولفظة "الْمَقَابِرَ" جاءت في منتهى المناسبة في موضعها هذا ما كان لغيرها أن تقوم مقامها، وهذه الدلالة من السعة والعموم والشمول، لا يمكن أن يقوم بها لفظ "القبور" التي هي جمع لقبر، فبقدر ما بين قبر ومقبرة من تفاوت، حيث يظل الاستعمال القرآني الذي لم يجئ بالمقابر هنا لمجرد المشاكلة اللفظية والرنين الصوتي، وإنما هي الملاءمة المعنوية أيضاً بين التكاثر والمقابر بما فيهما من سعة وشمول وعموم، وهو هو الإعجاز البياني يوجز رحلة الدنيا وعبرة الموت ونذر المصير، في أربع كلمات فحسب، تفجأ اللاهين في نشوة الدنيا، بصدمة [زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ] ليس بينها وبين [أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ] إلا " حَتَّى "(٣٢).

– قوله تعالى: [كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ، ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ] التكاثر ٣، ٤ جاءتا متناسبتين مع الآيتين قبلهما، وما بعدهما، وتناسبها مع ما قبلهما على سبيل الزجر عما تقدم من توهم في الفهم، في عاقبة التكاثر؛ على وجه الرد والتكذيب

٣١– انظر/ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ٥١٨/٥،المؤلف: أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (المتوفى: ٥٤٢هـ)، المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد، الناشر: دار الكتب العلمية– بيروت، الطبعة: الأولى– ١٤٢٢ هـ، تفسير الألوسي ٤٥٣/١٥، التفسير البياني للقرآن الكريم ٢٠٠/ المؤلف: عائشة محمد علي عبد الرحمن المعروفة ببنت الشاطئ (المتوفى: ١٤١٩هـ)، دار النشر: دار المعارف– القاهرة، الطبعة: السابعة

٣٢– انظر/ التفسير البياني للقرآن الكريم ٢٠١

(ISSN: 2536- 9555)

أي ليس الأمر كما يتوهمه هؤلاء من أن السعادة الحقيقية بكثرة العدد والأموال والأولاد، بل ستعلمون عاقبة الفهم المنحرف بعد فوات أوانه، وأما اتصاله بما بعده، فعلى معنى القسم(٣٣).

– وقيمة "كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ، ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ "هو على سبيل التهكم، وتوكيد الوعيد الذي توعدهم به الله– تبارك وتعالى، وفي استخدام أداة العطف "ثم" بيان دلالة أن الإنذار الثاني أبلغ من الأول؛ لأن فيه تأكيدًا خلا عنه الأول؛ لأن فيه تنزيلاً لبعد المرتبة، مرتبة بعد الزمان، واستعمالاً للفظ "ثُمَّ" في مجرد التدرج في درج الارتقاء(٣٤).

– وقوله تعالى: [كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ، لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ] التكاثر ٥، ٦، اعتبر القدماء من المفسرين أن حذف جواب الشرط في الآية الكريمة ٥ له غرض بلاغي أعظم من اعتبار الآية السادسة جواباً للشرط قبلها، معللين ذلك أن جواب لو ههنا لو ثبت لأدى لوقوع الشرط الممتنع!!! قائلين: "ولا يجوز أن يكون جواب لو الامتناعية لأنه محقق الوقوع وجوابها لا يكون كذلك"(٣٥) غير أن أحد الباحثين المحدثين قال: لا وجه إطلاقاً لاحتمال الشك في رؤية الجحيم، لو علموا علم اليقين، وسيعلمونه حتماً حين يرون الجحيم عين اليقين، وعندئذ يزول المانع، ويتحقق بزواله جواب الشرط، والقرآن الكريم جاء بشرط "لو" هنا في مجال اليقين" [كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ] بعد أن قرر على وجه التأكيد والجزم والحسم أنهم سوف يعلمون؛ وإذ تقرر– بما لا يحتمل أي شك– أنهم سوف يعلمون علم

٣٣– مفاتيح الغيب ٣٢/ ٢٧١

٣٤– حدائق الروح والريحان ٢٨٥/٣٢

٣٥– تفسير الألوسي ٤٥٣/١٥، مفاتيح الغيب ٢٧٢/٣٢، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل ٧٩٢/٤، المؤلف: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ)، الناشر: دار الكتاب العربي– بيروت، الطبعة: الثالثة– ١٤٠٧ هـ.

اليقين(٣٦)، فقد لزم أن نقول إن امتناع شرط "لو" سيزول حتماً باليقين الذي قررت الآية أنهم سوف يعلمونه يقيناً لا ريب فيه، وعليه تتضح المناسبة بين الآيتين المباركتين مناسبة واضحة دون احتياج لتأويلات بعيدة، وتقديرات محذوفة بعيداً عن وضوح أسلوب القرآن في بلاغته الرائقة.

– وقوله–تعالى: [ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ، ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ] التكاثر ٧، ٨، هي على التوجيه السابق مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بما قبلها، وهو استئناف بياني على سبيل التوكيد لما سبق الحديث عنه، مع بيان تفاصيل ذلك اليوم وما يقع فيه.

المسألة الرابعة

سورة العصر

أولاً: مقاصد السورة: وردت السورة الكريمة للتوكيد على الطريق الوحيد للنجاة في هذا الوجود، وهو الإيمان والعمل الصالح.

– ومعالم هذاالطريق التي رسمتها السورة المباركة تتمثل في: [الإيمان– العمل الصالح– الدعوة إلى الإيمان والعمل الصالح– الاصطبار على هذا الطريق مهما تطاول أو أصابهم من عقبات].

ثانياً: مناسبة السورة ومضمون الربع: وهذه السورة المباركة تكاد تكون مرتبطة ارتباطاً وثيقاً في موضوعها بمقاصد القرآن المكي عامة، ومقاصد الربع الواردة فيه خاصة، والذي يعالج القضية الكبرى لهذا الوجود الإنساني، وهي بناء التصورات الإيمانية لدى الإنسان حول محاور اتصاله مع من حوله [علاقته بالله تبارك وتعالى الإله المعبود– علاقته بالسماء والأرض من حوله– علاقته بالمخلوقات المشهودة وغير المشهودة من حوله– ثم بيان علاقته باليوم الآخر وإلى أين

٣٦– التفسير البياني للقرآن ٢٠٩

(ISSN: 2536- 9555)

يسير– وبيان الموازين الحقة المعتبرة من الخالق المعبود– وبيان ما يجب عليه وما هو حق له] وهو ما يرتبط بشكل وثيق مع المراد من هذه السورة المباركة المبينة للطريق الوحيد للفوز والبعد عن الخسران المبين السائر فيه كل من لم يهتدِ بالهدي الإلهي.

– ولبيان عظمة المنهج الذي ترسمه هذه السورة للنجاة في الدارين ورد في حقها قول الشافعي–رحمه الله تعالى– وهو من هو من علماء الأمة: "لو تدبر الناس هذه السورة لوسعتهم، حتى قيل إنها حوت جميع علوم القرآن"(٣٧).

ثالثاً: مناسبة السورة لما قبلها: لما بين– تبارك وتعالى– علة ورود الجحيم في التكاثر، وهو الانشغال بالاستزادة من الأموال والأولاد على حساب قيم الحق، ما يؤدي إلى الخسارتين العاجلة والآجلة، جاءت هذه السورة [سورة العصر] لتبين سبيل النجاة من الخسران المرتقب؛ حيث الإيمان والعمل الصالح ودعوة بني الإنسان جميعاً إليهما؛ كي تظهر الصورة كاملة على شكل يظهر شتى تفاصيلها؛ فبني الإنسان إما خاسرون وهم الذين آثروا المتاع العاجل على حساب النعيم الآجل، وإما فائزون وهم الذين استكملت سورة العصر صفاتهم العاملين بها من إيمان وعمل صالح ودعوة إليهما مع التحلي بمستلزماتها من صبر وأخلاق.

رابعاً: المناسبة بين اسم السورة وموضوعها: سميت السورة باسم "والعصر" في غالبية كتب التفسير(٣٨)؛ تسمية لها بما ورد أولها ختصاراً، على طريقة العلماء في تسمية السور بإطلاق الألفاظ متفردة الورود أعلاماً على السور، والعلاقة بين

٣٧– انظر/ تفسير القرآن العظيم (ابن كثير) ٨/ ٤٥٣المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، المحقق:محمد حسين شمس الدين، الناشر: دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون– بيروت، الطبعة: الأولى–١٤١٩هـ، التحرير والتنوير ٣٠/ ٥٢٨، حدائق الروح والريحان ٢٩٧/٣٢.

٣٨– التحرير والتنوير ٣٠/ ٥٢٨

اسمها وموضوعها على اعتبار أن الاسم يختصر العمر الذي هو محل التكليف؛ إشارة إلى خطورة العمر بالنسبة لكل إنسان؛ قال الرازي– رحمه الله تعالى– في تفسيره(٣٩) بالدهر وجوه:

– أن الدهر مشتمل على الأعاجيب لأنه يحصل فيه السراء والضراء، والصحة والسقم، والغنى والفقر، بل فيه ما هو أعجب من كل عجب، وهو أن العقل لا يقوى على أن يحكم عليه بالعدم.

– أهمية وخطورة الدهر بالنسبة للإنسان باعتباره أعظم رأس ماله الذي يجب استثماره للفوز والفلاح.

– أنه كما أقسم الله في غير ما موضع في القرآن بالمكانيات والزمانيات، وكان الزمان أشرف من المكان لا جرم أقسم الله–تبارك وتعالى– بجنس الزمن على أخطر قضية في حياة الإنسان وهي قضية فلاحه وكيف يكون هذا الفلاح.

– أقسم الله– تعالى– به إرشاداً إلى علو مرتبته، وإلى أنه شاهد صدق على أن الناس جميعًا في خسارة إلا المؤمنين الصالحين، وذلك هو موضوع السورة الذي جاء القسم على توكيده(٤٠).

خامساً: المناسبة بين افتتاحية السورة وخاتمتها: ترتبط السورة كاملة في نسق بياني بديع من افتتاحيتها حتى خاتمتها توكيداً على المعنى المراد منها وهو الحكم بفوز المؤمنين العاملين بمنهج الإسلام دون بقية الناس، وهذا الأمر أحد مستلزمات تحقيقه، والثبات عليه إنما هو الصبر حتى بلوغ الغاية الموضوعة لذلك وهي الفلاح والفوز للمؤمنين العاملين بمنهج الإسلام، ولذا ختمت السورة بما هو أحد لوازم تحقيق المقسم عليه بافتتاحيتها، وهو الصبر.

٣٩– انظر/ مفاتيح الغيب ٣٢/ ٢٧٧

٤٠– حدائق الروح والريحان ٣٢/ ٢٩٩.

(ISSN: 2536- 9555)

سادساً: تناسب الآيات وفواصلها في السورة الكريمة: لما كانت هذه السورة كافية في حمل منهج النجاة كما قال الشافعي–رحمه الله تبارك وتعالى–جاءت السورة الكريمة دفعة واحدة في أسلوب قسم مترابط الأجزاء كأنها دفعة دلالية متصلة لا تنفصل إلا على سبيل التفصيل، يتضح ذلك فيما يلي:

– الآية الأولى والثانية: قوله– تعالى: [وَالْعَصْرِ، إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ] قسم من الحق– تبارك وتعالى– على ما وردت السورة لتقرره فيما بعد، وهو الحكم على جميع الأناسي بالخسار خلا من استثناهم الحق– تبارك وتعالى– في الآية الثالثة، ووجه التناسب بين الآيات واضح تمام الوضوح كون أسلوب الاستثناء هو أسلوب يكمّل كل جزء منه مكونات الأسلوب وبيان غرضه الأصلي منه وهو التوكيد على المقسم عليه.

– وقد جاءت كلمة "الْإِنْسَانَ" معرفا بأل التي هي للجنس لاستغراق جميع بني الإنسان في الحكم الذي جاء القسم ليؤكده، والتعبير عن خسرانه بهذا التركيب اللغوي:" لَفِي خُسْرٍ"بياناً أن خسار هؤلاء أصبح ظرفاً محيطاً بهم من كل جانب،وهي ظرفية مجازية شبهت ملازمة الخسر بإحاطة الظرف بالمظروف فكانت أبلغ من أن يقال: إن الإنسان لخاسر، ومجيء هذا الخبر على العموم مع تأكيده بالقسم وحرف التوكيد في جوابه، يفيد التهويل والإنذار بالحالة المحيطة بمعظم الناس(٤١)، ثم أعقب ذلك قوله–تعالى: [إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ] العصر٣، ومناسبة ورود هذا الاستثناء كي يتقرر الحكم تاماً في نفس السامع ما كان ليتضح بهذا الوضوح بغير هذا التعبير.

٤١– التحرير والتنوير ٣٠/ ٥٣١

– والفاصلة القرآنية في الآيات الثلاث جاءت مناسبة بجرسها الموسيقي لتساهم في بيان تلك المعاني؛ حيث وردت كلمة "خُسْرٍ" سجع عفوي غير متكلف يزيد المعنى جمالاً ووضوحاً(٤٢).

المسألة الخامسة

سورة الهمزة

أولاً: مقاصد السورة: جاءت السورة الكريمة وعيداً لكل من اتخذ لسانه أداة إيذاء لصرف المؤمنين عن دينهم.

ثانياً: مناسبة السورة ومضمون الربع: السورة المباركة كما هو واضح من لفظها جاءت سرداً لعقوبة صنف من الناس يوم القيامة، وبياناً لتفاصيل حسابهم الأخروي، فهي متسقة ومتناسبة مع عموم مقاصد القرآن المكي في بناء تصورات الناس عن اليوم الآخر، وترسيخ الإيمان بالبعث والحساب في الآخرة، كما يتجلى فيها نفس الجو الذي ساد في عموم الربع موضع الدراسة من حيث تفاصيل البعث، والحساب، والجزاء، وبيان أصناف الناس في الآخرة من حيث سابقة أعمالهم في الدنيا، وكما جاءت السور قبلها لتبين تلك المقاصد أرست السورة تلك القيم؛ زجراً وتهذيباً للكافرين، وإيماناً وجزماً وتصديقاً للمؤمنين.

ثالثاً: مناسبة السورة لما قبلها: لما ذكر في السورة السابقة جنس الخاسرين، وأن السبب الذي به نسوا أمر الآخرة كان الاستكثار من المال كما ورد في سورة التكاثر كان من بليغ هذه السورة أن جاءت تفريعاً على تلك السورتين في بيان تناول الوعيد على بعض أفعالهم، وبيان صفاتهم مع جعل السبب المعنوي الذي دعاهم لهذا الطغيان والاستطالة على عباد الله واحتقارهم هو المال الذي نالوا به

٤٢– التفسير المنير ٣٩٢/٣٠، حدائق الروح والريحان ٣٠٨/٣٢

(ISSN: 2536- 9555)

في الآخرة وعيداً ممتداً عليهم لا ينقطع كما ظنوا أن المال في الدنيا سيبقيهم ويخلد ذكرهم!!!!

رابعاً: المناسبة بين اسم السورة وموضوعها: السورة كما تقدم جاءت في بيان عاقبة أفعال الكائدين للمؤمنين، وكيف يتولى الله– تبارك وتعالى– بذاته الدفاع عن عباده المؤمنين بردع أولئك ببيان مآل فعالهم وعاقبة أمرهم، والسورة وإن كانت مكية كما سلف الحديث غير أنها سميت "بالهمزة" بتسمية السورة بلفظ تفردت السورة بإيراده، مع بيان خطورة العامل الأخلاقي في دعوة الإسلام، وأنه حتى حينما كانت الدعوة لا زالت في طور التمهيد والتربية، غير أن القرآن الكريم قد اهتم بالمحور الأخلاقي اهتماماً بالغاً؛ تعبيراً عن أصالة هذا المحور في دعوة الإسلام، جنباً إلى جنبٍ مع الاهتمام بالجانب العقدي، وجعل هذا الاسم علماً على حال كل من ينال بلسانه من الخلق، وإن أعلن أمام الناس أنه مسلم، ردعاً للجميع عن هذا الفعل المستبشع.

– ويلاحظ من عناية الله سبحانه بالرد على هذه الصورة معنيين كبيرين:

الأول: تقبيح الهبوط الأخلاقي وتبشيع هذه الصورة الهابطة من النفوس.

والثاني: المنافحة عن المؤمنين وحفظ نفوسهم من أن تتسرب إليها تأثيرات الإهانة، وإشعارهم بأن الله يرى ما يقع لهم، ويكرهه، ويعاقب عليه.. وفي هذا كفاية لرفع أرواحهم واستعلائها على الكيد اللئيم(٤٣).

خامساً: المناسبة بين افتتاحية السورة وخاتمتها:لما أبان– تبارك وتعالى– في مفتتح السورة وعيد هؤلاء المستهزئين بالمؤمنين فرع في نهايتها بمصيرهم المحتوم، وفرع على ذلك بالتفصيل حتى ختم السورة بقطع أملهم عن الخروج منها، ولما

٤٣– انظر/ مفاتيح الغيب ٣٢/ ٢٨٧، التحرير والتنوير ٣٠/ ٥٤١، في ظلال القرآن ٣٩٧٣/٦،

كان السبب العظيم الذي دعاهم لذلك الذنب الذي استوجبوا به ذاك الوعيد هو المال العديد لديهم فقد جعل النار عليهم من جنس ذلك المال الذي استطالوا به على الناس، وهي أنها عليهم مؤصدة ممتدة في عمد ممدةٍ.

سادساً: تناسب الآيات وفواصلها في السورة الكريمة:

–قوله تبارك وتعالى:[وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ، الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ، يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ] الهمزة١: ٣،

–افتتاح السورة بصيغة "وَيْلٌ لِكُلِّ " براعة استهلال بلفظ نكرة مناسب لتهويل عقاب الذنب المذكور بعدها، ولكل تفيد الشمول لكل من فعل هذا الذنب، لتبشيع صورته وتنفير السامعين من الاتصاف به !!!

– جاءت كلمات "همزة، لمزة" معبرة عن المعنى المراد منها، حيث جاءت على صيغة وصفٍ لموصوف محذوف تقديره لكل شخص، وأضاف كلمة كل نيابة عن المحذوف حيث صار الوصف قائماً مقامه، وأناب الوصف بهذا الوصف على هذه الصيغة للدلالة أن هذه الأفعال صارت لازمة أصحابها حتى ليصح أن تذكر نيابة عنه، وهو كل عياب لغيره ومغتاب له في حضوره أوغيابه لدرجة الانتقاص والاحتقار منه، وفيها جرس موسيقي بديع ذو أثر بلاغي واضح ناتج عن الجناس الناقص فيهما(٤٤).

– ومناسبة الآية الثانية للأولى أنها وصفية مكملة لها على سبيل التبيين والتوضيح باسم الموصول، وترتبط بالأولى على سبيل بيان العلة والسبب، فكأنها تفسر السبب الذي دفع المشئوم المذكور في الآية الأولى لفعل الذنب الذي استبشعه وأنكره القرآن الكريم عليه، وأنه هو المال الذي جعله يطغى على عباد

٤٤–انظر/ حدائق الروح والريحان ٣٢/ ٣١٢، التحرير والتنوير ٥٣٦/٣٠، التفسير المنير ٣٩٨/٣٠

(ISSN: 2536- 9555)

الله– تعالى– فيشتمهم ويحتقرهم انتقاصاً منهم؛ على سبيل زجر السامعين أن يكون لهم نفس المصير المذكور قبلها.

–وإيثار لفظ " جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ" دون غيرها من الأفعال التي قد يظن أنها تقوم مقام هذا الفعل هو أن لكلمة جَمَعَ في هذا الموضع ما ليس لغيرها، فلو قال ملك مالاً، لكان في ذلك تقريراً لملكيته، لكن كلمة جمع مالاً تعطي من الدلالات مالا يعطيه غيرها من الكلمات؛ انطلاقاً من تصور الإسلام في قضية المال التي تقرر حقيقة أن المالك على الحقيقة لهذا الكون وما فيه هو الله– تعالى– وإنما المال بين يدي حامله إنما هو على سبيل الاستعارة والاستخلاف؛كقوله–تعالى: [وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ] الحديد٧، وتنكير كلمة "مَالاً" التي جاءت جمعاً، وإضافة ذلك لقوله: "وَعَدَّدَهُ" يدل على كثرة هذا المال الذي دعا صاحبه لهذا الطغيان على غيره.

– قوله تعالى: [يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ] مناسبة استخدام الفعل المضارع "يَحْسَبُ" يفيد أن ذلكم المذكور في الذم السابق لم يكن على يقين في قرارة نفسه بذلك الظن الذي ظنه في قدرة ماله على تخليده، وقوله: "أَنَّ مَالَهُ" جاءت إظهاراً في موضع الإضمار على سبيل التقريع والتوبيخ، واستخدام الفعل أَخْلَدَهُ جاءت على صيغة الماضي المراد به المستقبل أي ظن أن ماله سيخلد وجوده في الحياة، لكن الحقيقة أن ذلك صار حكاية منقضية ولن يكون لهذا الظن وجود مستقبلي!!!

– وقوله تعالى:[كَلَّا لَيُنْبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ، وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ، نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ]، مناسبة هذه الآيات لما قبلها على سبيل الاستدراك، والتقريع لإفادة التقريع والردع والزجر متضمنة التوكيد في سياق القسم المعنوي المفهوم من الآيات على رد ذلك التصور المعوج في التعامل في الحياة، ومقررة أن الميزان الحقيقي للإنسان ليس المال وجمعه، بل هي موازين أخرى جاء بها هذا الدين.

– قوله:" كَلَّا لَيُنْبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ، وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ، نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ"أي ليلقين هذا الإنسان مصيراً متسقاً مع حجم الجريمة التي ارتكبها ومن جنسها، فالمال الذي جمعه ليستطيل به على عباد الله–تعالى– محتقراً إياهم بسبب جمعه وتعديده تأتي صورة عقاب صاحبه مغايرة لما طلبه من المال حيث صورة العقاب هي إلقاء صاحبه في النار التي سميت في هذا الموضع بالحطمة لقيامها بتحطيم صاحبها الذي احتقر الناس بجمعه للمال، فبيْن جمع مالاً وعدد، وقوله لينبذن في الحطمة من الظلال الدلالية ما يوحي بالمقابلة المعنوية لما أراده ذلك الهمزة اللمزة، أي في النار التي شأنها أن تحطم وتكسر كل ما يلقى فيها كما أن شأنه كسر أعراض الناس(٤٥)، والتحطيم من الحطمة مضاد لما ابتغاه من جمع المال، فكما جمع، فقد حطمته النار.

– ومناسبة قوله تعالى: "وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ، نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ" لما قبلها على سبيل التهويل، والتبيين والتفسير للمراد منها والتقريب لصورتها التي يراد لذهن المتلقي أن يستوحيها من دلالات الألفاظ.

– وقد جاءت الفواصل في الآيات مشاركة ما سبق في صنع صورة دلالية مستهجنة لتلك الأفعال التي جاءت السورة المباركة لتبشيعها في النفوس: [عَدَّدَهُ، أَخْلَدَهُ، الْمُوقَدَةُ، مُمَدَّدَةٍ]: سجع مرصع، لتوافق الفواصل(٤٦).

– قوله–تعالى: [نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ، الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ، إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُؤْصَدَةٌ، فِي عَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ] الآيات لا زالت متممة لما قبلها من آيات جاءت لبيان المراد

٤٥– تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم ٩/ ١٩٩، المؤلف: أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (المتوفى: ٩٨٢هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي– بيروت.

٤٦– التفسير المنير ٣٠/٣٩٨.

(ISSN: 2536- 9555)

بالحطمة التي هي مصير الهمزة اللمزة، وغرضها بعد تلك الآيات هو التبيين والتفسيير.

– قوله" نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ" إضافة النار إلى الله– تعالى– على سبيل التهويل من صورتها وحقيقتها، ووصفها بالإيقاد بالإضافة إلى كونها في الأصل ناراً:أي لا تخمد أبداً على سبيل تهويل أمرها ما لا مزيد عليه(٤٧).

– وقوله:" الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ" صفة ثالثة للحطمة، ومناسبة ذكر هذه الصفة في هذا الموضع مناسب تماماً لمحل وقوع الذنب الذي استوجب صاحبه به نار الحطمة، حيث كان منطلق ذلك الذنب هو فؤاد صاحبه الذي ظن أن لا يطلع أحد عليه فأسر في نفسه اعتقاده أن ماله مخلده، وتولد عن ذاك الاعتقاد الخبيث تولد الطغيان في قلبه فترجمه تكسيراً لأعراض العباد،وازدرائهم وهمزهم ولمزهم؛فجاءت الحطمة فاطلعت على فؤاده الذي هو محل الخبث فيه، فحطمته وفرقته.

– وقوله تعالى: "إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُؤْصَدَةٌ، فِي عَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ"الهمزة ٨، ٩: الآيتان متناسبتان مع ما قبلهما على سبيل التكميل والتفصيل في وصف فعل النار في الهمازين اللمازين وحالتهم داخلها، فهي مطبقة عليهم بأوتاد ممدودة(٤٨).

٤٧– انظر/ لباب التأويل في معاني التنزيل ٤٦٩/٤، المؤلف: علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي أبو الحسن، المعروف بالخازن (المتوفى: ٧٤١هـ)، المحقق: تصحيح محمد علي شاهين، الناشر: دار الكتب العلمية– بيروت، الطبعة: الأولى– ١٤١٥ هـ، إرشاد العقل السليم ١٩٩/٩

٤٨– لباب التأويل ٤٦٩/٤

المسألة السادسة

سورة الفيل

***أولاً:** مقاصد السورة: جاءت السورة الكريمة مقررة أن المال والقوة لا تغني بحال من الأحوال من دون الله شيئاً، وذلك في صورة نموذج واقعي تشهد به شبه الجزيرة العربية بين يدي النبي الخاتم في حادثة الفيل.

***ثانياً:** مناسبة السورة ومضمون الربع: هذه السورة الكريمة تتفق مع مضمون الربع الشريف الواردة فيه من حيث: [تناول قضية المجازاة على الأعمال- التدليل على أحقية المنهج الإلهي بالانتصار في معركته مع الباطل- التدليل على صدق الرسول- صلى الله عليه وسلم- وبيان الإرهاصات التي كانت بين يدي بعثته].

***ثالثاً:** مناسبة السورة لما قبلها: بالنظر والتأمل في موضع سورة الفيل بين أخواتها من سور الربع الكريم يمكن بيان مناسبتها كما يلي:

- لما ذكر الحق- تبارك وتعالى- في سورة التكاثر أن أعظم الأسباب المضيعة للإنسان أمر معاده هو تكاثره بالأموال والأولاد، وعقب-تبارك وتعالى- في سورة الهمزة أن المال هو أحد الأسباب الرئيسة في تمكن الطغيان من نفس الشخص، ما يستتبع ذلك ظن الشخص المتكاثر أن ماله سيخلده،فيبغى قولاً على عباد الله، فتوعده الله- تعالى- بعذاب الحطمة الأخروي.

- جاءت سورة الفيل لتبين مظهراً آخر من عاقبة بغي وطغيان المتكاثرين بالأموال والأولاد، وهو الهلاك والانتقام العاجل المرأي بأعين من عاينوا الحادثة أو كانوا قريبين من وقوعها، لذا ناسب وقوع سورة الفيل التي تمثل الحالة العملية

(ISSN: 2536- 9555)

للعذاب الأدنى للجزاء عقب سورة الهمزة التي مثلت الوعيد الأخروي للجزاء لمن تكاثر بماله وبغى على الخلق(٤٩).

***رابعاً:** المناسبة بين اسم السورة وموضوعها: جمهور المفسرين على تسمية السورة بسورة"الفيل" وإن كان بعضهم أطلق مطلعها "ألم تر" علماً عليها، (٥٠)، وبالنظر في السورة وما حوته من معانٍ يتضح أن المناسبة بين تسميتها بالفيل أنسب ذلك؛ على اعتبار ما اعتمده العلماء من تسمية السورة باللفظ الذي اختصت به دون غيرها من سور القرآن، وكذلك مجيء السورة كلها حكاية لواقعة الفيل التي اشتهرت في شبه الجزيرة العربية بين يدي بعثة الحبيب– صلى الله عليه وسلم.

***خامساً:** المناسبة بين افتتاحية السورة وخاتمتها: المناسبة بين افتتاحية السورة وخاتمتها مناسبة معنوية حيث تختصر القصة إجمالاً، وتطوي تفاصيل الحدث في سرد لامح لقصتهم وتحقير لشأنهم؛ فكأن الحق– تبارك وتعالى– يقول لحبيبه: [أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ..... فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ] "حيث جمع لهم الخسة والمهانة والتلف"(٥١).

***سادساً:** تناسب الآيات وفواصلها في السورة الكريمة:

–قوله– تبارك وتعالى: [أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ] مناسبة كل لفظة في القرآن الكريم للموضع الذي وردت فيه أحد أهم سمات هذا الكتاب الحكيم، لأن سبكه تم من لدن حكيم خبير لقول الله– تعالى: [الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ

٤٩– انظر/ تفسير المراغي ٢٤١/٣٠ المؤلف: أحمد بن مصطفى المراغي (المتوفى: ١٣٧١هـ) الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر الطبعة: الأولى، ١٣٦٥ هـ– ١٩٤٦ م نظم الدرر ٢٢/ ٢٤٩، التفسير المنير ٣٠/ ٤٠٦

٥٠– التحرير والتنوير ٥٤٤/٣٠

٥١– البحر المديد ٣٥٥/٧

آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ] هود١، ولذا فلكل حرف فيه وظيفته التي جاء لأدائها كما يلي:

– تعليق الرؤية بكيفية فعله– عز وجل– لا بنفسه بأن يقال ألم تر ما فعل ربك الخ لتهويل الحادثة والإيذان بوقوعها على كيفية هائلة وهيئة عجيبة دالة على عظم قدرة الله– تعالى– وكمال علمه وحكمته وعزة بيته وشرف رسوله– صلى الله عليه وسلم (٥٢).

– واختيار فِعل "فَعَلَ" بدلاً من غيره من الأفعال كجعل أو خلق لأن صيغة فعل تتحمل من الدلالات ما لا يتحمله غيره من الأفعال، وإضافة هؤلاء القوم للفيل على سبيل التحقير من شأنهم؛ فإنهم قد صاروا على حالتهم تلك أخس درجةً من الفيل؛ الذي نسبهم– تبارك وتعالى– إليه، ولم ينسبه إليهم.

– وقوله–تعالى: [أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ] الآية تفريع عن الأولى من قبيل تتميم المعنى الوارد قبلها؛ وعلة ذلك أنه– تبارك وتعالى– لما افتتح الآيات بذكر الكيفية في معرض الامتنان على حبيبه، وبيان أوجه تشريفه ناسب ذلك أن يُفصّل ما أبهمه في قوله–تعالى قبل– "فَعَلَ رَبُّكَ" إزالة للإبهام، وتوضيحاً للمشكل، وتعديداً للنعم، فجاءت الآيات التالية بعد الأولى مبينة تلك الكيفية، وموضحة تلك الهيئة؛ فقال على سبيل الإجمال: "أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ" أي صير مرادهم بمضرة الغير في ضلال بيّن.

–وقوله تعالى: [وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ، تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ] استئناف بياني لما قبلها على سبيل التفصيل، ومناسبة قوله تعالى "وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ" دون غيرها من الكلمات هو تضمين هذه الصيغة معنى الانتقام منهم .

٥٢– انظر/ إرشاد العقل السليم ٩/ ٢٠٠، التحرير والتنوير ٣٠/٥٤٤

(ISSN: 2536- 9555)

– مناسبة اختيار الفاصلة كلمة "أَبَابِيلَ" بهذه الصيغة للدلالة على كثرة جموع الطيور التي سلطت عليهم، والدليل على ذلك أن هذا اللفظ عده جمهور اللغويين لا مفرد له من لفظه، بل اختلف فيه أهل العربية وجمهورها، في دلالةٍ على تهويل كثرتها للحد الذي لايستطيع أحد تصور حقيقتهم، ولاعددهم، بل هي صيغة تستحضر كثرتهم في حال الأفواج المتحركة.

– ومناسبة الآية التالية أنها لبيان صفة تلك الجماعات المتكاثرة من الطير وهي ترميهم بحجارة معدة عن الله– تعالى– لهم كما قال: [حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ مَنْضُودٍ، مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ] هود ٨٢، ٨٣، فتعين أن تكون الحجارة التي أرسلت على أصحاب الفيل من جنس الحجارة التي أمطرت على قوم لوط، أي ليست حجراً صخرياً ولكنها طين متحجر دلالة على أنها مخلوقة لعذابهم(٥٣)، ولفظة سجيل فاصلة قرآنية متفقة مع الفيل وأبابيل تعطي جرساً موسيقياً يزيد المعنى وضوحاً؛ حيث جاء المد في كلمة أبابيل على الألف لتشرف الأسماع إلى أعلى، ثم تتابع الصورة مع سقوط ما لديها من حجارة معدة لإهلاك أولئك المجرمين، فتشعر كلمة سجيل بمدها بالياء كما لو أن الحجارة قد صورت وهي تسقط عليهم، بعد أن أعدت بعيداً عن الميدان الذي ألقيت فيه.

– وقوله تعالى: [فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ] مناسبتها لما قبلها أنها تمثل الخاتمة المفجعة في حق من افتروا بأموالهم وقوتهم وظنوا أنهم مخلدون في الدنيا بما جمعوه من مال فافتروا به على العباد، فأجرى الله– تعالى– فيهم سنته الماضية في المجرمين، لتكون إرهاصاً بميلاد نبي الرحمة، وقد عطفت الآية الشريفة على ما قبلها بالفاء لإفادة سرعة انقضاء أمرهم؛ فأصبحوا لا يرى إلا آثارهم في هيئة مستبشعة تستهجن النفس رؤيتها، وذلك مناسب لما استظهروه من الكبر والخيلاء

٥٣– مفاتيح الغيب ٣٠/٥٥٠

في صورة القوة والمنعة؛ فأبادهم الله بجنود لا يعلم كنهها إلا الله– تبارك وتعالى؛ تحقيراً لشأنهم، وحطاً من قدرهم، وتبشيعاً لحالتهم،وتشبيه مآلهم بالعصف المأكول في الفاصلة القرآنية، فيه تشويه لحالهم ومبالغة حسنة في تبشيع صورتهم، وهو أنه لم يكتف بجعلهم أهون شيء في الزرع وهو التبن الذي لا يُجدي طائلاً، حتى جعلهم رجيعًا... على طريق الكناية مراعاةً لحسن الأدب، واستهجانًا لذكر الروث، بطريقة القرآن البديعة في رسم الصورة الفنية المجردة بذكر الأدوات الطبيعية المحسوسة(٥٤).

المسألة السابعة

سورة قريش

أولاً: مقاصد السورة: توجيه قريش لإفراد الله– تبارك وتعالى– بالعبادة؛ فهو الذي أنعم عليهم بالأمن من الخوف والطعام بعد الجوع، وهيء لهم واقعاً يمارسون فيه أمور معاشهم.

ثانياً: مناسبة السورة ومضمون الربع: كما تقدم؛ فإن الربع موضوع البحث يؤكد على ضرورة إفراد الله– تعالى– بالعبودية؛ فهو أهل لها، والتدليل على هذا التوجيه بكل وسيلة ممكنة إقامة للحجة على الناس، وقد جاءت السورة جارية على نفس النسق، فهي من باب تعديد نعم الله– تعالى– على قريش أهل الحرم– تلك النعم التي لم تكن لتتوفر لهم إلا من طرف الله– تعالى– المستحق للعبودية دون سواه.

ثالثاً: مناسبة السورة لما قبلها: جاءت السورة الكريمة كأنها النتيجة المباشرة المتفرعة عما تناولته سورة الفيل بين يديها، حتى لكأنهما سورة واحدة مترابطة غير

٥٤– انظر/وظيفة الصورة الفنية في القرآن ١٤٧، المؤلف: عبد السلام أحمد الراغب، الناشر: فصلت للدراسات والترجمة والنشر– حلب، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ– ٢٠٠١ م، حدائق الروح والريحان ٣٣٧/٣٢، البرهان في علوم القرآن ٣٠٥/٢

(ISSN: 2536- 9555)

منفكة؛ حتى قيل إن الصحابي الجليل أبي بن كعب– رضي الله عنه وأرضاه– كان يعدهما في مصحفه سورة واحدة، بل إن معظم علماء علوم القرآن والتفسير قد ذكروا تلك العلاقة بين السورتين؛ معللين ذلك بالربط بين خاتمة سورة الفيل ومضمونها وبين افتتاحية سورة قريش على علاقة التعليل(٥٥).

– لكن ما يجب التنبه إليه هو أن رابط السورتين ببعضهما ليس مناسبة خاتمة الفيل بافتتاحية قريش فقط، بل مضمون الحادثة كاملة كانت كالتوطئة لدعوة قريش لإفراد الله– تبارك وتعالى– على سبيل الشرط؛ كأنه تعالى يخاطبهم قائلاً: كما أنعم الله عليكم بمجموع النعم المذكورة في السورتين وهي:[إهلاك الله من تعدوا على حرمه بين أيديكم، وعلى مرأى منكم ولم يكن بسبب منكم– وزيادة هيبتكم في نفوس من حولكم ما يسر لكم أمر المعاش في نشاطكم التجاري بين الشمال والجنوب– ثم إنعامه عليكم بأعظم نعمتين يحتاجهم الناس في المعاش نعمة الأمن، ونعمة الطعام] وجب عليكم أن تدينوا لله– تعالى بالعبودية(٥٦)، قال الرازي– رحمه الله تعالى:"اعلم أن الإنعام على قسمين أحدهما: دفع الضرر، والثاني: جلب النفع والأول أهم وأقدم، فلهذا السبب بين–تعالى– نعمة دفع الضرر في سورة الفيل ونعمة جلب النفع في هذه السورة"(٥٧).

٥٥– انظر/ البرهان في علوم القرآن ١٨٦/١، المؤلف: أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (المتوفى: ٧٩٤هـ)، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم،الطبعة: الأولى، ١٣٧٦ هـ– ١٩٥٧ م، الناشر: دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه، الإتقان في علوم القرآن ٢٦٥/٢، المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة: ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤ م

٥٦– انظر/ التحرير والتنوير ٥٥٤/٣٠ ، حدائق الروح والريحان ٣٢/ ٣٤٩

٥٧–مفاتيح الغيب ٣٢/ ٢٩٨

– ولما ذكر قبل في التكاثر التوجيه القرآني بضرورة الاحتراس عن الظن أن المال يهب الخلود: في سورة التكاثر، وعقب بآثار جمع المال على النفسية العارية عن الإيمان وأنه يكون سبباً للنقمة الأخروية في الحطمة، أو تعجيل عذابها في الدنيا كأصحاب الفيل، وعد من يؤمن بتوفير الإطعام وضمانة ثمراته لأهل الإيمان بالإضافة للأمن في سورة قريش.

رابعاً: المناسبة بين اسم السورة وموضوعها: سُميت السورة الكريمة بـ:"لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ" إطلاقاً لافتتاحيتها من الجار والمجرور علماً عليها، وهو من قبيل ارتباط الافتتاحية بموضوعها، فإن هذا الجار والمجرور متعلق بموضوع السورة، وهو الدعوة إلى عبادة الله– تبارك وتعالى– المنعم بالنعم المذكورة في السورة علىهم، يعني: إن نعم الله عليهم غير محصورة، فإن لم يعبدوه لسائر نعمه فليعبدوه لهذه النعمة الجليلة التي هي إيلافهم الرحلتين.... أي: ليجعلوا عبادتهم شكرًا على هذه النعمة"(٥٨).

خامساً: تناسب الآيات وفواصلها في السورة الكريمة: السبك اللغوي الذي جاءت عليه السورة الكريمة يؤكد على تنزله من لدن حكيم خبير، ويتضح تناسب آيات السورة كما يلي:

– "لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ": مناسبة للافتتاح؛ قالوا أصله" لتعبد قريش رب هذا البيت الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف لإيلافهم رحلة الشتاء والصيف، فلما اقتضى قصد الاهتمام بالمعمول تقديمه على عامله، تولد من تقديمه معنى جعله شرطاً لعامله فاقترن عامله بالفاء التي هي من شأن جواب الشرط، فالفاء الداخلة في قوله: "ليعبدوا" مؤذنة بأن ما قبلها في قوة الشرط، أي مؤذنة بأن تقديم المعمول مقصود به اهتمام خاص وعناية قوية هي عناية المشترط بشرطه، وتعليق

٥٨– حدائق الروح والريحان ٣٤٩/٣٢

(ISSN: 2536- 9555)

بقية كلامه عليه لما ينتظره من جوابه، وهذا أسلوب من الإيجاز بديع، وتقديم الإيلاف لأجل التذكير بالنعمة ليبني عليها التكليف (٥٩).

– ومناسبة الآية الثانية: "إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ" هو من قبيل الإطلاق ثم إبدال المقيد منه وذلك لإفادة التفخيم والتذكير بعظيم النعمة عليهم(٦٠)، وبين الشتاء والصيف محسن بديعي وهو الطباق لتوضيح المعنى وإحاطته، يعني أن النعمة ممتدة عليهم طوال العمر، على مر الأعوام.

–ومناسبة قوله:تعالى: [فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ، الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ] من جعل الجار والمجرور متعلقاً بهذا الفعل فهو على سبيل الشرط، ظهرت مناسبته، إذ المعنى، أن نعم الله– تعالى– عليهم غير محصورة، فإن لم يعبدوه لسائر نعمه فليعبدوه لهذه النعمة الجليلة(٦١).

– وفي قوله– تعالى: "فَلْيَعْبُدُوا" صيغة المضارع المقترن بلام الأمر وقبلها الفاء يفيد الوجوب والإلزام؛ لما قدم– سبحانه وتعالى– بين يدي هذا الأمر من المنن والنعم الجليلة التي لا تصدر إلا عمن له مقاليد السماوات والأرض، وكانت النعم مشاهدة ومعيشة للمخاطبين قبل الأمر وبعده، جاءت الصيغة مناسبة بالأمر المؤكد بدلالاته المتنوعة.

– ومجيء الفاصلة مضافة لله– تبارك وتعالى– على سبيل التشريف في قوله "رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ" تذكيراً لهم بالحادثة المرتبطة في الأذهان بهذا البيت الذي عظموه

٥٩– انظر/ التحرير والتنوير ٥٥٥/٣٠، حدائق الروح والريحان ٣٤٩/٣٢، تفسير الألوسي ٤٧٢/١٥، مفاتيح الغيب ٢٩٤/٣٢

٦٠– انظر/ تفسير الألوسي ٤٧٢/١٥، حدائق الروح والريحان ٣٢/ ٣٥٣

٦١– محاسن التأويل ٥٥١/٩، المؤلف: محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (المتوفى: ١٣٣٢هـ)، المحقق: محمد باسل عيون السود، الناشر: دار الكتب العلميه– بيروت، الطبعة: الأولى– ١٤١٨ هـ

للتخلص منها إلى إلزامهم بعبادتهم لله وأنها ليست على سبيل الترف الشخصي المعيشي، وإنما هو الواجب اللازم عليكم تجاه المنعم الذي أسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنه.

– وتنويع ذكر النعم قبل فعل الأمر بالعبادة وبعده مناسب لتذكيرهم بحال الامتنان في معرض الأمر بالعبادة، وهو حسن تخلص على سبيل ترابط أطراف السورة جميعاً لأجل الغرض المسوقة له.

– واستخدام حرف الجر "من" في قوله "أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ" بدلاً عن حرف الجر"عن" يفيد أنهم لم ينلهم شيء من الجوع والخوف لما كانت السورة على سبيل بيان المنن والعطايا الإلهية عليهم،يعني أطعمهم في بدء جوعهم قبل لحاقه إياهم وآمنهم في بدء خوفهم قبل اللحاق بهم(٦٢).

–وبالنظر للفاصلة القرآنية في السورة نجد تناسباً عجيباً حيث لذة التلاوة وحلاوتها كامنة في الكلمات: [قُرَيْشٍ– وَالصَّيْفِ– الْبَيْتِ– خَوْفٍ] فإن هذه الكلمات الأربع تنتهي بأحرف مختلفة، ولكنها من فصيلة واحدة وهي حروف الهمس، وكل كلمة قبل آخرها حرف مد ولين، وهذا الحرف يمد حركتين أو أربعًا أو سِتًّا ويسمى مدًّا عارضًا للسكون، وهذا التنغيم الصوتي يؤدي إلى جمال الأداء مع جمال اللفظ مع جمال المعنى مع جمال الهدف، كل هذا يؤدي إلى دخول القرآن القلبَ لعوامل شتى، منها الأداء اللفظي مع الفاصلة القرآنية التي تأتي، والمعنى في قرن واحد(٦٣).

٦٢– انظر/ حدائق الروح والريحان ٣٢/ ٣٥٥

٦٣– البيان والبديع ٤٧١، المؤلف: مناهج جامعة المدينة العالمية، الناشر: جامعة المدينة العالمية، ٢٠١٠ م.

(ISSN: 2536- 9555)

المسألة الثامنة

سورة الماعون

أولاً: مقاصد السورة:التعجيب من حال منكري البعث، واستنكار أفعالهم، وفرع على ذلك باستنكار أفعال تابعيهم من المنافقين على اعتبار منطلق جميعهم في تلك الأفعال هو التكذيب بالبعث حقيقة أو توهماً، وبيان مآلهم جميعاً.

ثانياً: مناسبة السورة ومضمون الربع: تتناسب هذه السورة مع مقاصد الربع الشريف الذي وردت في سياقه من أكثر من وجه:

– تتناول الإيمان بالبعث، وجزاء منكريه في اليوم الآخر.

– تفنيد أعمال تتنافى مع الإيمان بالبعث.

– بيان الوحدة الكلية بين الأعمال في الإسلام، على اعتبار أن جميع الأعمال يجب أن يخلصها المسلم لله– تعالى.

ثالثاً: مناسبة السورة لما قبلها: بالتأمل في هذه السورة وما قبلها من سور كريمة يتضح تناسبها مع ما قبلها من أكثر من مناسبة كما يلي:

– لما تحدث في سورة "لإيلاف قريش"عن نعمه على المخاطبين ناسب أن ينهاهم في هذه السورة الكريمة أن يمنعوا هذه النعمة عن خلق الله–تعالى.

–لما أظهر الحق– تعالى– نعمته بالمنع للضر عن المخاطبين في سورة الفيل، وأردف بتعديد نعم العطاء للمخاطبين في سورة "لإيلاف قريش" ثم ختم السورة بالإلزام بالعبودية لله– تعالى، ناسب أن تأتي هذه السورة "الماعون" للتعجيب من حال المكذبين بالدين، قال السيوطي–رحمه الله: "لما ذكر الله– تعالى– في سورة قريش: "الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ" قريش ٤، ذكر هنا ذم من لم يحض على طعام

المسكين،ولما قال هناك: [فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ] "قريش: ٣ ذكر هنا من سَهَا عن صلاته"(٦٤).

–لما جاءت سورة الفيل صورة واقعية مرئية لأعين المعاصرين حول الإماتة والمحاسبة وإجراء العقوبة العاجلة لمستحقيها، ثم جاءت سورة "لإيلاف قريش" بياناً لحال من عاين الحادثة ونجا منها؛ كأنها البعث لهم بعد موت كان محققاً لهم من أصحاب الفيل، ناسب ذلك أن تأتي سورة "الماعون" للتعجب من حال منكري البعث، واستنكار أعمالهم المنافية للإيمان بالبعث والجزاء، بالغم من مونهم عاينوا شبيها بالبعث!!!

رابعاً: المناسبة بين اسم السورة وموضوعها: سميت السورة بأكثر من اسم، وإن كان الجمهور على تسميتها بـ "الماعون"(٦٥)، تسمية لها بخاتمتها، وباللفظ الذي لم يرد في القرآن إلا فيها، وتوكيداً على بذل الماعون ابتغاء وجه المنعم، واعتبار أوجه السلوك التي تحدثت عنها السورة من: [الرفق باليتيم، وإطعام المساكين] هو الأنسب والأوفق لتسميتها، والعلاقة بين هذا الاسم وبين موضوع السورة جد مناسب؛ إذ الاسم في الغالب يكون تدليلاً على معظم دلالات المسمى، فجاءت هذه السورة باسم الماعون دلالة أن من أعظم الدلائل على الإيمان باليوم الأخر والبعث والحساب هو إعطاء الماعون،على تقدير مضاف في الاسم كتقدير:أهمية الماعون، وهذا من باب ارتباط وتناسب افتتاحية السورة بخاتمتها بتسميتها بأكثر المقاصد لها ارتباطاً بها.

خامساً: تناسب الآيات وفواصلها في السورة الكريمة: جاءت السورة الكريمة متناسبة الآيات، متناسبة الفواصل كما يلي:

٦٤– أسرار ترتيب القرآن ١٦٨، المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، الناشر: دار الفضيلة للنشر والتوزيع.

٦٥– بصائر ذوي التمييز ١/ ٥٤٦

(ISSN: 2536- 9555)

– قوله–تعالى: [أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ] مناسبة الآية للابتداء بها على سبيل حسن الاستهلال بـ تشويق السامع إلى معرفة من سيق له الكلام، والتعجيب من الحال والأفعال المذكورة.

– ومجيء الفاصلة للتعبير عن البعث بلفظ "الدين" للدلالة على مكانة الإيمان بالبعث واليوم الآخر في هذا الدين على سبيل المجاز المرسل،وكأن الإيمان بالبعث هو كل الدين، وهو أسلوب بديع تعرفه العربية.

–وقوله تعالى:"فَذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ" مناسبة الآية لما قبلها هو التبيين والتوضيح والتفسير لما قبلها، وفائدة العطف بالفاء لعطف الصفة الثانية على الأولى وهو لإفادة تسبب مجموع الصفتين في الحكم المقصود من الكلام، شأنها في عطف الصفات إذا كان موصوفها واحداً، والإشارة إلى الذي يكذب بالدين باسم الإشارة لتمييزه أكمل تمييز حتى يتبصر السامع فيه وفي صفته، أو لتنزيله منزلة الظاهر الواضح بحيث يشار إليه(٦٦).

– وقد جاء اللفظ الشريف "يَدُعُّ" في هذا الموضع مناسباً تمام التناسب للتعبير عن المعنى الذي يوضح الطريقة البشعة للتعامل مع اليتيم من قبل المكذب بالدين، والتي تسوقها الآيات في كلمة تستدعي معاني مثل سَوق اليتيم بقهرٍ ونهرٍ وغلظة.

– وقوله: "وَلَا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ" ارتباط الآية بما قبلها على سبيل التفصيل في بيان الصفات المستهجنة لمن يكذب بالدين، وصيغة "وَلَا يَحُضُّ" على سبيل نفي الحض، فيكون بياناً أكثر في شديد بخله بالإطعام، بالتبعية، ومناسبة صيغة المضارع في الآيات السابقة في وصف هؤلاء هو على سبيل استحضار صورتهم وهم يرتكبون تلك الفظائع مراراً وتكراراً؛ لأجل تبشيع أحوالهم وتنفير المؤمنين من مجرد رؤيتها فضلاً عن الاتصاف بها!!!

٦٦– انظر/ التحرير والتنوير ٣٠/ ٥٦٥.

–قوله– تبارك وتعالى: [فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ، الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ، الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ] قالوا: مناسبتها لما قبلها بيّنٌ لآن موقع الفاء صريح في اتصال ما بعدها بما قبلها من الكلام على معنى التفريع والترتب والتسبب(٦٧).

– ومناسبة استخدام حرف الجر "عن" بدل حرف الجر "من" كونهم لم تترك صلاتهم فيهم أثرها، إما لهجرهم إياها تماماً، أو لم يتموها بحقوقها المشروعة لها،من حيث المراءاة فيها، أو الانتقاص من حقوقها ولذا لما فهم هذه المعاني الدقيقة ابن عباس قال: ولو قال في صلاتهم ساهون لكانت في المؤمنين، وقال عطاء: الحمد لله الذي قال عن صلاتهم ولم يقل في صلاتهم(٦٨).

– ومناسبة قوله تعالى: "الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ" بعد الآية السابقة هو على سبيل التفصيل في وصفهم القبيح، تبشيعاً لصورتهم، وزجراً للمؤمنين أن يقعوا في هذه الأفعال، وبيان أن صلاة هؤلاء ليست لله–تعالى– بينة إيمان، وإنما هي محض رياء للبشر فلا قبول لها(٦٩)، مع توضيح السبب الذي لأجله استحقوا الوعيد الشديد الوارد قبل بالويل العظيم.

– وقوله– تعالى: "وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ" الآية الكريمة بعد الوارد قبلها من فضح المنافقين بالسهو عن صلاتهم يعني إذا عملوا لله تعالى– ما هو حقه دون خلقه راءوا به المخلوقين، وما كان حقاً للخلق مما هو في ملك الله بخلوا به عن عباد

٦٧– التحرير والتنوير ٣٠/ ٥٦٦

٦٨– الجامع لأحكام القرآن، تفسير القرطبي ٢١٢/٢٠، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية– القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ– ١٩٦٤ م.

٦٩– انظر/ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ٥٢٧/٥، المؤلف: أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (المتوفى: ٥٤٢هـ)، المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد، الناشر: دار الكتب العلمية– بيروت، الطبعة: الأولى– ١٤٢٢ هـ.

(ISSN: 2536- 9555)

الله، قال المحققون: كأنه– تعالى– يقول الصلاة لي والماعون للخلق، فما يجب جعله لي يعرضونه على الخلق، وما هو حق الخلق يسترونه عنهم(٧٠).

المسألة الثامنة

سورة الكوثر

أولاً: مقاصد السورة: جاءت السورة الكريمة لبيان المقاصد التالية:

– بيان عظيم عطاء الله ومننه على الحبيب محمد–صلى الله عليه وسلم.
– الأمر بالعبادة وبذل المعروف.

– تبشير النبي– صلى الله عليه وسلم– بخيبة مساعي أعدائه، والوعد بتمكينه منهم.

ثانياً: مناسبة السورة ومضمون الربع: جاءت السورة الكريمة على سنن الربع الشريف الواردة في سياقها لتؤكد على أكثر من معنى كما يلي:

– الوعد بالعطاء غير المقطوع في الآخرة للنبي وأمته.

– ذكر مآل الصراع بين رأس المؤمنين والكافرين.

–التوكيد على القضية المركزية في حياة المؤمن، وهي قضية العبادة لله تعالى.

ثالثاً: مناسبة السورة لما قبلها: جاءت السورة الكريمة متناسبة مع ما قبلها بشكل إعجازي يتضح كما يلي:

–جاءت السورة الكريمة كأنها لنقض السلوكيات المردودة الواردة قبل ذلك في سورة الماعون، حيث قابلت كل فعل مردود بآخر مأمور به، في سورة الماعون وصف الله المنافق بأمور أربعة: البخل وترك الصلاة والرياء فيها ومنع الزكاة؛

٧٠– مفاتيح الغيب ٣٢/ ٣٠٥

فذكر هنا في مقابلة البخل "إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ" أي الخير الكثير، وفي مقابلة ترك الصلاة قال: "فَصَلِّ لِرَبِّكَ" أي دم عليها، وفي مقابلة الرياء قال: "لِرَبِّكَ" أي لرضاه لا للناس، وفي مقابلة منع الماعون قال "وَانْحَر"، وأراد به التصدق على المحتاجين؛ فتظهر هذه المناسبة العجيبة(٧١).

– جعلها الفخر الرازي– رحمه الله تعالى– كالمتممة لما قبلها، وكالأصل لما بعدها من حيث الموضوعات الشريفة التي تتناولها(٧٢).

رابعاً: المناسبة بين اسم السورة وموضوعها: سميت السورة في أغلب كتب التفسر وعلوم القرآن بـ: "سورة الكوثر"، باعتبار هذا اللفظ الذي لم يرد إلا فيها؛ فسموا السورة به على سبيل تغليب الكوثر على أغراض السورة، ومناسبة ذلك أن الكوثر في اللغة دلالة على الخير الكثير غير المحدود، بياناً لموعود الله– تعالى– للنبي– صلى الله عليه وسلم– وأمته من بعده من أوجه المنن المتعددة.

خامساً: تناسب الآيات وفواصلها في السورة الكريمة: جاءت السورة الكريمة متناسبة الآيات متناسبة الفواصل، متناسبة الموضع الذي وردت فيه، متناسبة مع موضوع الربع الذي جاءت ضمنه، ويتضح تناسب آياتها بما يلي:

– قوله–تبارك وتعالى–: [إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ] مناسبة الابتداء بهذه الآية أنه جاء على سبيل التوكيد في أسلوب القسم، وذلك تعقيباً على نقض أفعال مستهجنة وردت في السورة التي قبلها؛ كأن الحق– تعالى– يقول للنبي– صلى الله عليه

٧١– انظر/ البرهان في علوم القرآن ٣٩/١، الإتقان ٣٨١/٣، أسرار ترتيب القرآن ١٦٥ المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، الناشر: دار الفضيلة للنشر والتوزيع، مفاتيح الغيب ٣٢/ ٣٠٧.

٧٢– مفاتيح الغيب ٣٢/ ٣٠٩

(ISSN: 2536- 9555)

وسلم: بفعلك ما يجب في حق الله– تعالى، وما تبذله في سبيل الله للعباد من حق المال أعطيناك الخير الوافر الممتد الذي لاينقطع.

– افتتاحية السورة بقوله– تعالى– تعالى: [إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ] على سبيل التوكيد للخير الذي وهبه الله–تعالى– للنبي– صلى الله عليه وسلم، وهو على سبيل القسم في توكيد الجملة، وعبر بصيغة الماضي مع أن العطايا أخروية؛إشعارًا بحتمية تحقق وقوعها(٧٣).

– وجاء الفعل "أَعْطَيْنَاكَ" مناسباً للموضوع والسياق، بدلاً من آتيناك لوجوه: "أن العطاء على سبيل الهدية المادية، وأما الإيتاء فيكون للمادي والمعنوي كما قال– تعالى: "وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ" الحجر ٨٧، وقال: "وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ" البقرة١٧٧، الإيتاء يكون على سبيل الاستحقاق، وأما الإعطاء على سبيل الإهداء، فلما دل قوله: أعطيناك على أنه تفضل لا استحقاق أشعر ذلك بالدوام والتزايد أبداً، وذلك على سبيل تعظيم عطاء الله تعالى لنبيه– صلى الله عليه وسلم– (٧٤).

–وقوله– تعالى– "الْكَوْثَرَ" جاءت الفاصلة مناسبة للسياق الواردة فيه توكيداً على حجم العطية الكبرى التي منحها الله تعالى لنبيه–صلى الله عليه وسلم، ولم ترد لفظة الكوثر في القرآن الكريم إلا في هذا الموضع، وهي للدلالة على الخير العظيم غير المحدود، وتتناسب على ذلك مع واسع عطاء الله لنبيه وأمته بقوله: [وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ] هود١٠٨، وقد ورد في معنى الكوثر أنه نهر في الجنة،

٧٣– انظر/ حدائق الروح والريحان ٣٧٧/٣٢،روح البيان ٥٢٤/١٠.
٧٤– انظر/ مفاتيح الغيب ٣٢/ ٣١٢،

ولما سئل ابن عباس عن ذلك جعل بينهما عموم وخصوص فقال: "هو من الخير الكثير".

– ومناسبة " لِرَبِّكَ" مع الأمر بالصلاة والنحر هو على سبيل الدلالة على ما يكون به القبول، وهو الإخلاص، وقوله " لِرَبِّكَ" أي لربك الذي أفاض عليك هذه النعمة الجليلة التي لا تضاهيها نعمة خالصاً لوجهه، كما دل عليه اللام الاختصاصية، خلافًا للساهين عنها المرائين فيها أداءً لحقوق شكرها؛ فإن الصلاة جامعة لجميع أقسام الشكر، وهي ثلاثة: الشكر بالقلب؛ وهو أن يعلم أن تلك النعم منه– تعالى– لا من غيره، والشكر باللسان؛ وهو أن يمدح المنعم ويثني عليه، والشكر بالجوارح، وهو أن يخدمه ويتواضع له، والصلاة جامعة لهذه الأقسام(٧٥)، وذكر الأمر بالنحر –هنا– مناسب لمقابلة من يمنعون الماعون في سورة الماعون.

–وقوله– تعالى–: "إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ"مناسب هنا للرد على من غرتهم الحياة الدنيا فتكاثروا بالأموال والأولاد؛ فهمزوا النبي ولمزوه برميه ووصفه أنه صلى الله عليه وسلم– أبتر، فجاءت الآية الشريفة على سبيل البشارة للنبي– صلى اله عليه وسلم– في الدنيا قبل الآخرة، والآية مؤكدة على سبيل القسم بإن والقصر، أما مناسبة الخاتمة: (إن شَانِئَكَ هُوَ الأَبْتَرُ) لما تقدمها من الآيتين المذكورتين فواضحةٌ من وجهين:

*أولهما: تكملة السرور للنبى– عليه السلام– ودفع أقاويل الشرك عنه، فبعد أن بيَّنَ له أنه أعطاه الخير الكثير، وأمره بفعل الطاعات شكراً له أعلمه أن الأبتر هو مبغضك ورامياك بالبتر، لأن مَنْ شأنه مثل شأنك ليس بأبتر؛ فجاءت الآية تذييلاً تعليلياً لما تقرر وثبت.

٧٥– حدائق الروح والريحان ٣٨٢/٣٢.

(ISSN: 2536- 9555)

*ثانيهما: رد على مَنْ رمى النبي– عليه السلام– بالبتر، والسورة مسوقة لتنفى عن النبي– عليه السلام– هذه الصفة(٧٦).

– وقد جاء مطلع السورة متوافقاً مع خاتمتها في بناء نظمها دلالة على أن القطع والمنع من كل خير حسي ومعنوي مخصوصٌ بشانئ المكرم المبجل– صلى الله عليه وسلم–، وهذا يفيد إفهاماً أنه– صلى الله عليه وسلم– هو الموصول بجليل العطاء الممنوح كل خيرممكن، فما أفاده مقطعها ترتيلاً هو ما دل عليه إفصاح مطلعها تلاوة، فكان التناسب الماجد بين المقطع والمطلع(٧٧).

المسألة التاسعة

سورة الكافرون

أولاً: مقاصد السورة: جاءت هذه السورة الكريمة في خاتمة القرآن الكريم لقطع الأمل لدى الكافرين بإمكانية الالتقاء مع الإسلام في منتصف الطريق على معبود يرضونه بأهوائهم، ليعلن النبي– صلى الله عليه وسلم– استحالة تلاقي الدين الإلهي مع أهواء المعبودين.

ثانياً: مناسبة السورة ومضمون الربع: تضمنت السورة الكريمة عدداً من التوجيهات لبناء التصور الإسلامي في جانب التوحيد، والتي هي من أسس وركائز ما جاء هذا الربع الشريف لتقريره والتوكيد على الإيمان به، كما يلي:

– المفاصلة بين المؤمنين والكافرين في أمر العقيدة والعبادة.

– نفي الإيمان بالله– تعالى عن الكافرين في الحال.

٧٦– خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية ١/ ٤١٣، المؤلف: د.عبد العظيم إبراهيم محمد المطعني (المتوفى: ١٤٢٩هـ)،الناشر: مكتبة وهبة، الطبعة:الأولى١٩٩٢م

٧٧– الإمام البقاعي ومنهاجه في تأويل بلاغة القرآن ٢٣٩، المؤلف: محمود توفيق محمد سعد

– النفي التأبيدي من النبي– صلى الله عليه وسلم– أن يعبد معبوداتهم.

– التوكيد على هذه المعاني مستقبلياً، مع فتح الطريق لإيمانهم بالمعبود الحق مستقبلياً.

– المفاصلة بأن كلاً من النبي والكافرين محاسبٌ بما يدين، يعني الجزاء والعقاب في اليوم الآخر.

ثالثاً: مناسبة السورة لما قبلها:

– تتضح مناسبة هذه السورة لما قبلها في بيان اعتبارها امتداداً لما قبلها من السور الشريفة؛ ففي سورة لإيلاف قريش ورد الأمر بعبادة الله الواحد، وإخلاص جميع الأفعال له في أمر العاديات، والعقائد والعبادات، ثم النعي على من يكذبون بالدين ويصرفون وجوه العبادة وفق أهوائهم، وليس انطلاقاً من توجيه إلهي، وبعدها جاءت سورة الكوثر التي أبانت عن الصورة النموذجية في العبادة وهو النبي المختار الذي يصرف وجوه الأمور جميعاً "لربه المعبود بحق" يصلي له، ويبذل المعروف له، وهو المختار من لدنه ليعطيه الله الفضل اللامحدود، فجاءت سورة الكافرون لبيان أمر المفاصلة في أمر تصريف العبادة له وحده، وإعلان ما يستكن في الصدر فيما يخص اعتقاد النبي الخاتم في إعلان عام لقطع طريق التقاء الإخلاص لله– تعالى– مع أي هوىً من أهواء الكافرين، مع التوكيد على المحاسبة على الاعتقاد في الآخرة والدنيا.

– لما كانت سورة الكوثر على سبيل التبشير للنبي وأمته بالخير الوفير في الدارين، ثم كانت على سبيل طمأنة النبي– صلى الله عليه وسلم– أن كل من حقد عليه وغاظه وفكر في مكيدته إلى انقطاع دائم، ناسب ذلك الانتقال إلى الصدع في وجوههم بتعرية باطلهم وبيان حقيقة كفرهم، ومآل هذا الجرم الذي اجترموه.

(ISSN: 2536- 9555)

– لما بين الحق– تعالى– في سورة العصر طريق الفوز المبين بأنه الإيمان والعمل الصالح والتواصي بالحق، وقد قام النبي–صلى الله عليه وسلم– بتقديم الإخلاص والإيمان كما حكاه الله–تعالى– عنه في سورة الكوثر، وعمل من الصالحات ما أمر به، كأنه بقي عليه التواصي بالحق؛ فجاءت هذه السورة على سبيل القيام بالصدع بالحق، مع التواصي بالصبر على توابع هذا الموقف الذي اتخذه.

رابعاً: المناسبة بين اسم السورة وموضوعها: الجمهور على تسمية السورة بـ"الكافرون" على حكاية اللفظ، ومناسبة هذا الاسم لموضوع السورة واضح، إذ جاء هذا الاسم على سبيل تقدير مضاف نحو فضح "الكافرون"، أو سورة "الكافرون"، أو عقوبة الكافرين، أو بطلان اعتقاد الكافرين؛ ولذا ورد أن هذ السورة الكريمة سماها بعض العلماء بـ: المقشقشة، على سبيل التبرئة من الكفر(٧٨).

خامساً: المناسبة بين افتتاحية السورة وخاتمتها: جاءت مناسبة الافتتاحية الإنشائية في السورة متناسقة مع خاتمتها كأنها الخبر العاجل، والرسالة الحاكمة فكأن الحق–تبارك وتعالى– يقول لنبيه– صلى الله عليه وسلم–: [قُلْ يَاأَيُّهَا الْكَافِرُونَ...لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ] "في" نداء حاسم، وحكم قاطع بالمفاصلة والحكم الذي لا استئناف فيه.

سادساً: تناسب الآيات وفواصلها في السورة الكريمة: جاءت السورة كلها من بدأها إلى منتهاها على سبيل الرسالة من الله– تعالى– للكافرين، وأنها جملة مقول القول؛ فهي مترابطة لا تنفك عن بعضها، وكل آية منها تضيف تسلسلاً تفصيلياً للرسالة، وأن دور النبي محمد– صلى الله عليه وسلم– فيها لا يعدو النقل من الحكم

٧٨– انظر/ بصائر ذوي التمييز ٤٨٥/١، التحرير والتنوير ٣٠/ ٥٧٩، روح المعاني ٤٨٤/١٥

العدل إلى المستقبلين لهذه الرسالة، فجاءت كلها متناسبةً متسلسلةً لتوكيد المعنى المقصود من تلك الرسالة كما يلي:

– البدء بفعل الأمر "قُلْ" جاء مناسباً لبيان أن دور النبي– صلى الله عليه وسلم– فيه لا يعدو كونه مبلغاً عن الله–تعالى– فيما سيلقى بعده من حكم، كما أن فعل الأمر يفيد التنبيه للاهتمام بما سيقال، وأن هذا القول مخصوص بالنبي– صلى الله عليه وسلم.

– لما قال: قل يا أيها الكافرون فحينئذ يرجع تشريف المخاطبة إلى محمد– صلى الله عليه وسلم، وترجع الإهانة الحاصلة لهم بسبب وصفهم بالكفر إلى الكفار، فيحصل فيه تعظيم الأولياء، وإهانة الأعداء، وذلك هو النهاية في الحسن(٧٩).

– يَاأَيُّهَا الْكَافِرُونَ: استخدام أداة النداء التي هي للبعيد على سبيل بيان المفاصلة المادية والمعنوية، وبيان بُعد النبي– صلى الله عليه وسلم– تماماً عن الكافرين، كما أن وصفهم بهذا الوصف الصريح هو على سبيل التحقير من شأنهم، وإذلالهم، وفضح سبب البعد عنهم وهو الكفر الذي اتصفوا به، كما أن فيه بيان أن حالهم ومستقبلهم سيظل على الكفر الذي نشأوا عليه، وتواصوا به.

– وفي قوله "لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ"لبيان نفي عبادته لما يعبدونه حالاً واستقبالاً، ولذا استخدم أداة النفي مع الفعل المضارع، وفي التعبير عن معبوداتهم المدعاة بقوله: "مَا تَعْبُدُونَ" تحقيراً لشأن معبوداتهم، وتنزيلها منزلة ما لا يعقل تحقيراً لها واستهزاءً بهم، وتوبيخاً لهم.

– التعبير بالفعل المضارع كأنه النفي الدائم من قبل المؤمنين لعبادة غير الله– تعالى– دائماً.

٧٩–انظر/ مفاتيح الغيب ٣٢/ ٣٢٤، حدائق الروح والريحان ٣٢/ ٣٩٢

(ISSN: 2536- 9555)

– وقوله تعالى: [وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ، وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ] استخدام النفي بـ "لا" على سبيل النفي المستقبلي، ومناسبته ههنا أن النبي يتحدث عن نفسه، والأمر في حالته لا يحتاج لكبير عناء في التوكيد، والمشاكلة في استخدام الاسم الموصول "ما" في الآية أنه في جانب الأصنام التي يعيرهم النبي بها على سبيل ما لا يعقل، وأما في جانب وحق الله–تعالى– جاء الوصف بـ:(ما) الموصولة لقصد الإبهام؛ لتفيد المبالغة في التفخيم كقوله تعالى: [وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا] والشمس٤، وجيء بالفعل الماضي في قوله:ما عبدتم للدلالة على رسوخهم في عبادة الأصنام من أزمان مضت، وفيه رمز إلى تنزهه– صلى الله عليه وسلم– عن عبادة الأصنام من سالف الزمان وإلا لقال: ولا أنا عابد ما كنا نعبد(٨٠).

– ومناسبة قوله–تعالى–:[لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ] على سبيل التذييل المرسل إرسال المثل، والذي يؤكد على ما ورد من مطلع السورة حتى موضعه، وقدم في كلتا الجملتين المسند [دينكم–دين] على المسند إليه [لكم– لي] ليفيد قصر المسند إليه على المسند، أي دينكم مقصور على الكون بأنه لكم لا يتجاوزكم إلى الكون لي، وديني مقصور على الكون بأنه لا يتجاوزني إلى كونه لكم،أي لأنهم محقق عدم إسلامهم، فالقصر قصر إفراد، واللام في الموضعين لشبه المِلك وهو الاختصاص أو الاستحقاق(٨١).

٨٠–انظر/التحرير والتنوير ٥٨٢/٣٠

٨١– انظر/التحرير والتنوير ٣٠/ ٥٨٤، مفاتيح الغيب ٣٣٣/٣٢، روح المعاني ١٥/ ٤٨٩، إرشاد العقل السليم ٢٠٧/٩،البحر المحيط في التفسير ٤٦١/١٠،أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: ٧٤٥هـ)، المحقق: صدقي محمد جميل، الناشر: دار الفكر– بيروت، الطبعة: ١٤٢٠ هـ.

المسألة العاشرة

سورة النصر

أولاً: مقاصد السورة: جاءت السورة الكريمة للتوكيد على عدد من المقاصد كما يلي:

– البشارة بفتح مكة وانتصار الإسلام على تجمعات الجاهلية.
– دخول الناس في دين الله أفواجاً.

– التوجيه الإلهي للنبي– صلى الله عليه وسلم– إذا حدث ما سبق أن يسبح الله– تعالى– ويحمده، ويكثر التوبة والاستغفار بين يدي إقباله على ربه.

ثانياً: مناسبة السورة ومضمون الربع: هذه السورة مدنية،وتكاد تكون السورة الوحيدة في الربع المجمع على مدنيتها، ومع ذلك فإنها تتناسب ومضمون الربع الواردة فيه في أكثر من وجه:

– السبك اللغوي في صورة الآيات القصار سريعة الوقع.

– بناء التصورات العقدية للمسلم في قضية الصراع بإسناد النصر لله وحده.

– وضع حد للصراع بين الحق والباطل.

– التذكير بالموت وحتميته على جميع الخلق، وضرورة الاستعداد للحساب.

ثالثاً: مناسبة السورة لما قبلها:

جاءت هذه السورة المباركة أعقاب سورة "الكافرون"، وبيان مناسبتها لما قبلها يتضح كما يلي:

– على اعتبار اتصال خاتمة السورة السابقة بهذه السورة الكريمة، يعني:يكون الأمر على سبيل ما قاله الحق–تعالى: [لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ]، وذلك [إِذَا جَاءَ

(ISSN: 2536- 9555)

نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ، وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا] يعني يصير الأمر في مسألة الاعتقاد في نفوس الأفراد بأن لكلٍ دينه؛ بعيداً عن إجبار، ولا إلزام ولا إكراه،إذا صار الواقع في الأرض على ما جاء في سورة النصر بأن يأتي نصر الله وفتحه المبين لمعقل الكفر،وعاصمة المواجهة للإيمان وهي مكة، وصار الناس يؤمنون بالله– تعالى– دون إجبار من أئمة الكفر عليهم بمنعهم من ذلك، ففي هذا الوقت يصير أمر الاعتقاد الفردي لا يخص إلا أصحابه طالما لم يتكتلوا تحت راية واحدة للكفر ومواجهة الإيمان وأهله، أما قبل ذلك فواجب على المؤمنين مواجتهم دفعاً للفساد عن الأرض،وهي السنة التي ألزم بها الحق–تعالى– أمة الحبيب– صلى الله عليه وسلم بقوله: [وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ] البقرة ٢٥١.

– جاءت البشارة الممهدة لقطع أمر الكافرين، واضمحلال دينهم، وزوال سطوتهم في سورة "الكوثر"بقوله: "إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ" الكوثر٣، ثم جاءت سورة "الكافرون" على سبيل فضحهم، والتحقير من دينهم؛ مقدمة لإعلان انتصار الدين الإلهي الخاتم في سورة "النصر"، ونعي النبي– صلى الله عليه وسلم– بعد قيامه بالرسالة على أكمل وجه.

–لما كانت سورة "الكافرون" على سبيل المفاصلة الإلهية بين معسكري الحق والباطل، إعلاناً عاماً لفضح الكفر والكافرين وبياناً لرفض الالتقاء بين الإسلام والكفر في محطة وسط؛ جاءت سورة النصر لتعلن أن أمر الكفر إلى اضمحلال، ومعسكر الكافرين إلى زوال، وإعلان أن الناس سيفيئون إلى الله– تعالى– لعبادة الله على دين الإسلام، وأن دين الله لا محالة هو الغالب، وساعتها تكون المهمة الموكولة للنبي الخاتم قد أنجزت، فيصير النبي–صلى الله عليه وسلم– إلى السنة الإلهية المكتوبة على جميع الخلق فيحسن به أن يحمد الله ويستغفره بين يدي إقباله عليه.

– لما كانت خاتمة سورة "الكافرون" على سبيل التهديد والوعيد للكافرين، كأن ذلك أشعر باستفزاز باطلهم، فأعقبها الحق بسورة النصر؛ قطعاً لهم عن أي أمل في أن ينتصروا من دين الله، بل سيكون دين الله فيما هو آت هو الغالب.

– كأنه– سبحانه– يقول: يا محمد إن الدنيا لا يصفو كدرها ولا تدوم محنها ولا نعيمها فرحت بالكوثر فتحمل مشقة سفاهة السفهاء حيث قالوا: اعبد آلهتنا حتى نعبد إلهك فلما تبرأ عنهم وضاق قلبه من جهتهم قال: أبشر فقد جاء نصر الله فلما استبشر قال: الرحيلَ الرحيلَ، أما علمت أنه لا بد بعد الكمال من الزوال، فاستغفره أيها الإنسان لا تحزن من جوع الربيع فعقيبه غنى الخريف ولا تفرح بغنى الخريف فعقيبه وحشة الشتاء، فكذا من تم إقباله لا يبقى له إلا الغير (٨٢).

رابعاً: المناسبة بين اسم السورة وموضوعها: سميت السورة الكريمة بـ "النصر"؛ على رأي جمهور المفسرين، على اعتبار الوعد الإلهي للنبي–صلى الله عليه وسلم– المذكور في السورة، ومناسبة الاسم لموضوع السورة واضحٌ؛ إذ السورة بيان لأعظم نصر سيتحقق في تاريخ الإسلام، ولذا فالمناسبة واضحة بين التسمية بـ النصر، ومضمون السورة كاملة من تمكن الإسلام في شبه الجزيرة العربية بعد هذا الوعد.

خامساً: المناسبة بين افتتاحية السورة وخاتمتها: هي مناسبة بين الشرط وأركانه، الافتتاحية هي فعل الشرط وأداته، والخاتمة هي جواب الشرط وما يستلزمه، وكأن الحق– تعالى– يخاطب النبي بقوله: [إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ..... فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا] النصر ١، ٣؛ لأن ذلك علامة دنو الأجل، ومفارقة الدنيا، والرحيل إلى الرفيق الأعلى.

٨٢– مفاتيح الغيب ٣٢/ ٣٣٥.

(ISSN: 2536- 9555)

سادساً: تناسب الآيات وفواصلها في السورة الكريمة: قوله– تبارك وتعالى: [إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ] مناسبة التعبير عن الحصول بالمجيء تجوزاً للإشعار بأن المقدرات متوجهة من الأزل إلى أوقاتها المعينة فتقرب منها شيئاً فشيئاً، وقد قرب النصر من وقته فكن مترقباً لوروده مستعداً لشكره(٨٣)، ومناسبة إضافة "نَصْرُ اللَّهِ" هو على سبيل التعظيم لهذا النصر الموعود.

– ومناسبة ذكر الفتح معطوفاً على النصر قالوا:الفتح هو تحصيل المطلوب الذي كان مغلقًا، والنصر كالسبب للفتح، فلهذا بدأ بذكر النصر، وعطف عليه الفتح(٨٤)، والآية متعلقة بما بعدها على سبيل الاستئناف التوضيحي.

– وقوله: "وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا" مناسبة استخدام فعل الرؤية الذي هو أهم الأدوات لتحصيل الإدراك، مع صيغة المضارع وصيغة أفواجاً؛ لاستحضار الصورة المعبرة عن كثرة المقبلين على الإسلام، وإضافة الدين لله على سبيل التشريف والتعظيم، والاختصاص.

– قوله تعالى: "فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا" الفاء واقعة في جواب الشرط، وذلك يبين ارتباط الآية بالآية الأولى فعل الشرط.

– الجمع بين تسبيح الله المؤذن بالتعجب مما يسره الله له مما لم يكن يخطر بباله ولا بال أحد من الناس، وبين الحمد له على جميل صنيعه له وعظيم منته عليه بهذه النعمة التي هي النصر والفتح لأم القرى التي كان أهلها قد بلغوا في

٨٣– انظر/ فتحُ البيان في مقاصد القرآن ١٥/ ٤٢٩، المؤلف: أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القِنَّوجي (المتوفى: ١٣٠٧هـ)، عني بطبعهِ وقدّم له وراجعه: خادم العلم عَبد الله بن إبراهيم الأنصَاري، الناشر: المَكتبة العصريَّة للطبَاعة والنَّشر، صَيدَا– بَيروت، عام النشر: ١٤١٢ هـ– ١٩٩٢ م

٨٤– انظر/ مفاتيح الغيب٣٢/ ٣٣٥، حدائق الروح والريحان ٣٢/ ٤٠٧

عداوته إلى أعلى المبالغ حتى أخرجوه منها بعد أن افتروا عليه من الأقوال الباطلة، والأكاذيب المختلفة(٨٥).

– وقيل مناسبة ذكر التسبيح والتحميد قبل الاستغفار هو على طريقة التنزيه والثناء لله– تعالى– قبل طلب الحاجة، ومناسبة قوله– تعالى: "إنه كان تواباً" تذييل للكلام السابق كله وتعليل لما يقتضي التعليل وفيه من الأمر باستغفار ربه باعتبار الصريح من الكلام السابق، وفعل كان– هنا– مستعمل في لازم معنى الاتصاف بالوصف في الزمن الماضي، وهو أن هذا الوصف ذاتي له لا يتخلف معموله عن عباده فقد دل استقراء القرآن على إخبار الله عن نفسه بذلك من مبدأ الخليقة(٨٦).

المسألة الحادية عشرة

سورة المسد

أولاً:مقاصد السورة: جاءت السورة الشريفة لتؤكد على عدد من القيم والتصورات التي تحكم علاقة الدعاة بغيرهم، كما يلي:

– سنة الانتقام الإلهي عاملة في كل من حاد الله، وحارب دعاته في الدنيا قبل الآخرة.

– جزاء من حارب الدعاة إلى دين الله– تبارك وتعالى– في الآخرة.

– من نماذج الخاسرين بمحاربة أولياء الرحمن: أبو لهب، وامرأته.

٨٥– حدائق الروح والريحان ٣٢/ ٤٠٩.

٨٦– انظر/ التحرير والتنوير ٣٠/ ٥٩٦، مفاتيح الغيب ٣٢/ ٣٣٥، حدائق الروح والريحان ٣٢/ ٤٠٧.

(ISSN: 2536- 9555)

ثانياً: مناسبة السورة ومضمون الربع: كما عهدنا هذا الربع الكريم جاء موضحاً القيم العليا التي تؤسس للعقيدة الإسلامية؛ وقد جاءت السورة الكريمة متناسبة ومضمون هذا الربع كما يلي:

– القالب اللغوي الذي صبت فيه القيم الدلالية والتصورات المنوط بالمسلمين إدراكها جاءت في صورة آياتٍ قصارٍ شديدة الوقع، عالية النبرة، كأنها المطارق على رءوس المقصودين بها.

–بيان حقيقة الصراع بين الحق والباطل في طريق الإيمان، وأنه ينطلق من القيم التي أرساها الله– تعالى، وليس ما ابتدعه البشر من تصورات زائلة زائفة.

–تخويف المخالفين للمنهج الإلهي من عذاب النار ذات اللهب العظيم، الذي لا يستطيع أن يقوم له أحد، ولا أن يتحمله مخلوق.

ثالثاً: مناسبة السورة لما قبلها:

– قيل في وجه ارتباطها بما قبلها: وقدم الوعد: "النصر" على الوعيد: "المسد" ليكون النصر معللًا، بقوله: "وَلِيَ دِينِ"، ويكون الوعيد راجعاً إلى قوله: "لَكُمْ دِينُكُمْ"... فتأمل في هذه المجانسة الحافلة بين هذه السور، مع أن سورة النصر من أواخر ما نزل بالمدينة، والكافرون وتبت من أوائل ما نزل بمكة؛ ليعلم أن ترتيب هذه السور من الله وبأمره(٨٧).

–لما ذكر الحق– تبارك وتعالى– الواجب على المؤمنين تجاه التبرؤ من الكافرين، وضرورة المفاصلة العقدية بين أهل الإيمان، وأشياع الكفر، لا جرم جاءت سورة النصر لتبين مآل وحال من انضبط بهذه الضوابط، وأن النصر

٨٧– أسرار ترتيب القرآن ١٧١

سيكون حليفه، والفتح سيكون هديته، وقبول توبته ومغفرة ذنوبه تكون جائزته الأخروية.

– ثم جاءت سورة المسد بياناً لحالة واقعية من حالات المحادة والمخالفة للعقيدة الحقة؛ اعتماداً على تصورات بالية خائبة بنفع ماله، أو ولده له، مع بيان الجزاء العاجل والآجل لأمثال هؤلاء، فكانت هي وسورة النصر كالتطبيق الواقعي لما سردته سورة "الكافرون" في إطارها العقدي؛ إحداهما مع عطايا الملك لمن آمن، والأخرى الخزي الذي يلحقه الله تعالى بمن حاد الله ورسوله.

رابعاً: المناسبة بين اسم السورة وموضوعها: سميت السورة الشريفة بـــ"سورة تبّت، وسورة أَبى لَهَب، وسورة المَسد؛ والجمهور على اعتبار الاسم الأول؛ نظراً لافتتاحيتها به(٨٨)، وعلى اعتبار تخصيص السورة بلفظ لم يرد إلا فيها، والمناسبة بين اسم السورة وموضوعها هو بيان مصير المحادين لله– تعالى– ودعاته وهو الخسران المبين، ممثلاً في نموذجين من نماذج الكفر وهما أبولهب، وامرأته.

خامساً: تناسب الآيات وفواصلها في السورة الكريمة:

قوله– تبارك وتعالى: [تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ] البدأ بـــ"تَبَّتْ" مناسبة للبدأ بها على سبيل براعة الاستهلال؛ للتوبيخ والوعيد لأبي لهب، وامرأته، وشن حملة عنيفة عليهما بالذم والتحقير، والتعبير عن هلاكه بالفعل تبَّ مناسب لما ورد من إيذائه النبي بهذا اللفظ،وعبر عن هلاكه بهلاك يديه على سبيل الكناية والمجاز،

٨٨– انظر/ جمال القراء وكمال الإقراء ٢٠٢/١، المؤلف: علي بن محمد بن عبد الصمد الهمداني المصري الشافعي، أبو الحسن، علم الدين السخاوي (المتوفى: ٦٤٣هـ)، تحقيق: د. مروان العطيَّة– د. محسن خرابة،الناشر: دار المأمون للتراث– دمشق– بيروت، الطبعة: الأولى ١٤١٨ هـ– ١٩٩٧ م، التحرير والتنوير ٥٩٩/٣٠.

(ISSN: 2536- 9555)

وهو معروف في العربية، وجاء باليد لأنها آلات إيذائه التي استخدمها في أذية النبي، والمؤمنين معه(٨٩).

–مناسبة ذكره بالكنية بدلاً من ذكر اسمه أن في اسمه عبادة العزى، وذلك لا يقره القرآن، أو لأن في كنيته ما يتأتى به التوجيه بكونه صائراً إلى النار(٩٠).

– وقوله– تعالى: "مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ" استئناف توضيحي، وجاءت كلمة كسب للتناسب مع ذكر المال، وقالوا: "ويجوز أن يراد بماله: جميع ماله، ويكون عطف، وما كسب من ذكر الخاص بعد العام للاهتمام به، أي ما أغنى عنه ماله التالد وهو ما ورثه عن أبيه عبد المطلب وما كسبه هو بنفسه (٩١).

–وقوله: "سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ" الآية على سبيل البيان المستقبلي لحال المذكور قبل ذلك،ومن بديع المناسبة في السورة الانتقال بين الأزمنة انتقالاً متسلسلاً منطقياً من الماضي، للحاضر، للمستقبل، وناسب ذكر النار ذات اللهب، ذكر أبي لهب قبلها، لزيادة تقرير المناسبة بين اسمه وبين كفره، ومآله ومصيره.

–وقوله: "وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ، فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ" مناسبة هاتين الآيتين أنهما على الاستئناف للجمع بينها وبين زوجها في الحكم المذكور قبل ذلك، ومناسبة ذكر"حَمَّالَةَ الْحَطَبِ"بعد ذكرها بامرأته هو على سبيل الاحتراس والتخصيص، أن يفهم أن كل زوجات أبي لهب وقعن تحت طائلة الحكم السابق، بل جاء ذكر ذلك تمييزاً لأم جميل، لأنه كان له زوجات غيرها، ومناسبة التعبير

٨٩– انظر/ حدائق الروح والريحان ٣٢/ ٤١٨، روح المعاني ٤٩٦/١٥

٩٠– انظر/ التحرير والتنوير ٣٠/ ٦٠١، مفاتيح الغيب ٣٢/ ٣٥٠،

٩١– التحرير والتنوير ٣٢/ ٦٠٤

عن رقبتها وعنقها بالجيد في هذا الموضع هو على سبيل الشتم والتعيير؛ إذ يستعار الحبل في الجيد للعبيد، والدواب(٩٢).

المسألة الثانية عشرة

سورة الإخلاص

أولاً: مقاصد السورة: لما كانت هذه السورة هي الخاتمة التي وردت في القرآن الكريم لتعريف العباد على معبودهم، وتعريف المخلوقين بخالقهم، وتعريف الخلق بإلههم؛ فقد جاءت سورة الإخلاص لبيان(٩٣):

-توحيد الله وتنزيهه.

- صفات الكمال والجمال والجلال للخالق العظيم.

-نفي الشركة والشركاء عنه مطلقاً.

ثانياً: مناسبة السورة ومضمون الربع: تتضح علاقة السورة بالربع كما يلي:

- لما كان القرآن الكريم هو الكتاب الذي اختاره الله-تعالى- وعاء لرسالته إلى خلقه؛ وتعريف العباد على معبودهم الحق، وأبان العلماء أن القرآن الكريم جاء على محاور ثلاثة: التوحيد والتذكير والأحكام؛ فالتوحيد يدخل فيه معرفة الخالق بأسمائه وصفاته وأفعاله، والتذكير منه الوعد والوعيد والجنة والنار وتصفية الظاهر والباطن، والأحكام منها التكاليف كلها وتبيين المنافع والمضار والأمر والنهي والندب، ولذلك كانت الفاتحة أم القرآن لأن فيها الأقسام الثلاثة وسورة

٩٢- انظر/ التحرير والتنوير ٣٢/ ٦٠٤

٩٣- انظر/ نظم الدرر٣٤٨/٢٢، فتح البيان ٤٤٣/١٥، التحرير والتنوير ٦١٢/٣٠، التفسير المنير ٤٦٣/٣٠.

(ISSN: 2536- 9555)

الإخلاص ثلثه لاشتمالها على أحد الأقسام الثلاثة وهو التوحيد(٩٤)، ولما كان معظم الربع المختار يتناول الحديث عن تعريف الخلق بخالقهم، بجانب الحديث عن الوعد والوعيد والجنة والنار؛ فقد ناسب ترتيب الآية وورودها في الربع المختار على سنن ذلك الربع المختار من القرآن الكريم؛ باعتبارها تتناول الحديث الإلهي عن التوحيد.

– ومما يلطف ذكره في هذا الموضع ما أبانه العلماء من مناسبة ختم القرآن الكريم بالإخلاص والمعوذتين البادئات بقوله– تبارك وتعالى "قل" أنه– سبحانه– ختم كتابه المكرم بتلك الطريقة التي هي أشرف، فبدأ بذكر صفات الله، وشرح– جلاله– في سورة "الإخلاص" حديثاً عن الإله الحق المستحق لجميع أوجه العبادة، ثم أتبعه بذكر مراتب مخلوقاته في "الفلق" بياناً للكون والعالم الأكبر المحيط بالإنسان، ثم ختم بذكر مراتب النفس الإنسانية في "الناس"بياناً لطبيعة العالم الأصغر المنطوي في الإنسان، وعند ذلك ختم الكتاب، فسبحان مَن أرشد العقول إلى معرفة هذه الأسرار الشريفة في كتابه المكرم(٩٥).

ثالثاً: مناسبة السورة لما قبلها: لما ذكر الحق– تبارك وتعالى– عظيم نعمته على رسوله الحبيب– صلى الله عليه وسلم– في سورة الكوثر؛ فكان ذلك على سبيل التهيئة للمفاصلة بين معسكر الإيمان وعلى رأسه النبي الأعظم، ومعسكر الكفر ممثلاً بوصفهم بـ"الكافرون" وخاطبهم النبي– صلى الله عليه وسلم– في المبدأ دون تفاصيل، وهو أنه– صلى الله عليه وسلم– يعبد إلهاً ليس كما يعبدون، ونفى عبادته لمعبوداتهم المدعاة، وكان الحديث في سورة "الكافرون" على سبيل

٩٤– انظر/ البرهان في علوم القرآن ١٨/١، الإتقان في علوم القرآن ٣٧/٤، الزيادة والإحسان في علوم القرآن ٦/ ٤٥١.

٩٥– انظر/أسرار ترتيب القرآن ١٧٧، المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، الناشر: دار الفضيلة للنشر والتوزيع.

ذكر المعبود الحق بوصف عام دون توصيف مفصل، فناسب أن يتبعها بسورة أشمل في وصف الإله المعبود الحق، وهي سورة الإخلاص، على سبيل التفصيل بعد الإجمال؛ فحسنت المناسبة من هذا الباب.

– وجه آخر: أنه– تبارك وتعالى– لما كلف النبي ممثلاً للمؤمنين في مفاصلة الكافرين في أمر العبادة، ناسب أن يذكر عاقبة الفريقين أمام تكليف المفاصلة، فحسن ذكر "سورة النصر" بعد "سورة الكافرين" على سبيل التفصيل في عاقبة المطيعين، وهو النصر والفتح، والعيش في رحابة الذكر، والشكر، والاستغفار والفوز في الدنيا والاخرة، ثم ناسب أن يذكر مصير المتعمدين البقاء على الكفر فذكر سورة "تبت" نموذجاً واقعياً لخيبة من عبد غير الله– تعالى– في الدنيا والآخرة على السواء، ولذا بعد أن قدم بذلك ناسب التفصيل في وصف المعبود بالحق فكانت سورة الإخلاص.

– أن سورة "الكافرون"، وتابعتاها:"النصر"، وسورة "تبت" جئن مع سورة الإخلاص على سبيل الوحدة المترابطة لبيان قضية التوحيد كاملة من الناحيتين: العلم التنظيري، والتطبيق الواقعي لمصائر كل فريق في هذه القضية؛ وقد قالوا: إنها اشتملت على التوحيد، وهذه أيضًا مشتملة عليه؛ ولهذا قرن بينهما في القراءة في الفجر، والطواف، والضحى، وسنة المغرب، وصبح المسافر،، وغيرها، عَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: رَمَقْتُ النَّبِيَّ– صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– أَرْبَعًا وَعِشْرِينَ، أَوْ خَمْسًا وَعِشْرِينَ مَرَّةً "يَقْرَأُ فِي الرَّكْعَتَيْنِ قَبْلَ الْفَجْرِ، وَالرَّكْعَتَيْنِ بَعْدَ الْمَغْرِبِ، قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ، وَقُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ"(٩٦).

٩٦– مسند الإمام أحمد بن حنبل ١٠/ ٣٢، المؤلف: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ)،المحقق: شعيب الأرنؤوط– عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ–٢٠٠١م، سنن الترمذي ٢/٢٧٦، المؤلف: محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك،

(ISSN: 2536- 9555)

رابعاً: المناسبة بين اسم السورة وموضوعها:

سميت السورة الكريمة في معظم التفاسير وفي «جامع الترمذي»: «سورة الإخلاص» واشتهر هذا الاسم لاختصاره وجمعه معاني هذه السورة لأن فيها تعليم الناس إخلاص العبادة لله– تعالى، أي سلامة الاعتقاد من الإشراك بالله غيره في الإلهية(٩٧)، وعلى كلٍ:فإنه أُطلق على السورة اسم "قل هو الله أحد" كما ورد في السنة، كان ذلك باعتبار الافتتاحية، وإن أطلق عليها تغليباً سورة الإخلاص كما ورد في كتب السنة والتفسير كان ذلك لمناسبة الموضوع الذي جاءت السورة معالجةً إياه، أما إن أطلق عليها سورة التوحيد كما ورد في بعض الكتب؛ كان مناسبة ذلك باعتبار مقاصدها، فلا مشاحة في التسمية لمناسبة كلٍ منها محلاً من أغراض السورة.

خامساً: تناسب الآيات وفواصلها في السورة الكريمة:

–قوله– تبارك وتعالى–: "قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ" مناسبة افتتاح السورة بهذه الآية للدلالة أن هذا الوصف التالي في حق الله– تعالى– ليس من قول محمد بل هو منزل عليه على سبيل الإبلاغ، وليس له أن يزيد فيه أو ينقص منه، فوظيفة الرسول فيه واضحة ما هي إلا التبليغ عن الله– تعالى– وإطلاق فعل القول دون تقييد لمن يتوجه القول فيه الدلالة على عموم هذا التوجيه، ووجوب بيان هذا

الترمذي، أبو عيسى (المتوفى:٢٧٩هـ)، تحقيق وتعليق:أحمد محمد شاكر (جـ ١، ٢) ومحمد فؤاد عبد الباقي (جـ ٣) وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف (جـ ٤، ٥)، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي– مصر،الطبعة: الثانية، ١٣٩٥ هـ– ١٩٧٥ م، وانظر/ أسرار ترتيب القرآن ١٧٢

٩٧– انظر/ التحرير والتنوير ٣٠/ ٦٠٩، فتح البيان ١٥/ ٤٤٣، روح المعاني ٥٠٣/١٥، حدائق الروح والريحان ٣٢/ ٤٣٥.

الاعتقاد لجموع المخاطبين، وتعريف الاسم الجليل بضمير الشان هو على سبيل الإجلال والتعظيم.

– ومناسبة وصف الله–تبارك وتعالى– ههنا– بـ: "اللَّهُ أَحَدٌ" على الرغم من استعمال العرب هذا الوصف في حالة النفي في مقابلة الوصف بـ: واحد في الإثبات هو أن السياق يعنى بوصف من هو موصوف بكونه: "لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ" الشورى ١١، فكأن الآية تصف الله– تبارك وتعالى– بالواحدية التي ليس لها شبيه ولا مثيل حتى في وصفه بالأحدية–تبارك وتعالى.

– ومناسبة مجيء بقية الآيات في السورة الكريمة هو على سبيل التفصيل في بيان وصف الإله الحق الموصوف بما تلا ذلك من صفات، وقوله: [اللَّهُ الصَّمَدُ] إشارة إلى كونه واحداً منفياً عنه الشركاء والأنداد والأضداد، ومناسبة ذكر الوصف بالأحدية قبلها منكراً، ووصفه ههنا بالصمدية معرفاً؛لأن صفة الأحدية لم يكن مجمعاً عليها لدى جموع المخاطبين، بل كانوا فيها مختلفين، عكس الوصف بالصمدية؛ فإن الخلق جميعاً إذا أعوزهم شيء في البر أو البحر لجأوا إليه–تبارك وتعالى– كما قال: [هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنْجَيْتَنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ] يونس٢٢ وقوله– تبارك وتعالى: [وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ] الزخرف ٨٧.

- وأما مناسبة تكرير لفظ الجلالة "الله" فذلك للإشعار بأن من فقد الاتصاف بهذا الوصف فهو بمعزل عن أن يستحق الوصف بالألوهية(٩٨).

٩٨– انظر/ مفاتيح الغيب ٣٦٣/٣٢، حدائق الروح والريحان ٣٢/ ٤٤٤

(ISSN: 2536- 9555)

- مناسبة قوله– تبارك وتعالى– [لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ] بعد أن وصف الحق– تبارك وتعالى– ذاته في الآيتين السابقتين بالأوصاف المذكورة، ففي الآية الأولى أبطلت الآية الأولى إلهية غير الله بالأصالة، وفي الآية الثانية أبطلت إلهية غير الله بالاستحقاق فجاءت هذه الآية لتنفي إلهية غير الله عن طريق التفرع أو التوالد؛ وبيانه كما يلي:

- أبطلت الآية إلهية الملائكة والأوثان التي ادعاها مشركو العرب الذين قالوا عن الملائكة: [وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ] النحل٥٧، وقولهم [اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ] الأنبياء ٢٦،

- أبطلت الآية إلهية عيسى التي ادعاها النصارى، كما أبطلت إلهية عزير التي ادعاها اليهود، وحكاها القرآن الكريم عنهم بقوله: [وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ] التوبة ٣٠.

- كما أبطلت الآية إلهية كل تولُّد سواء كان ذلك الادعاء بطريق النِّحَل، أو عن طريق الفلاسفة، فأبطلت ادعاء وجود إلهين للشر والخير وتولد أحدهما وهو إله الشر عن آخر وهو إله الخير كما قالت به الزرادشتية، وكذلك أبطلت الآية قول الفلاسفة بتولد العقل المدبر لهذا الكون عن غيره، فجاءت هذه الآية مقررة ومؤكدة ما أثبتته الآيتان قبلها من أحدية وصمدية الإله المعبود بالحق، ومناسبة استخدام صيغة المضارع المنفي في الآية دون نفي المستقبل؛ لأن تلك الادعاءات كانت على نفي ما وقع في زمن مضى، ولم يدعِ أحدٌ أن ذلك سيحدث مستقبلياً، فجاءت الآية لمواجهة واقعٍ تنفيه(٩٩).

٩٩– انظر/ التحرير والتنوير ٦١٩/٣٠، حدائق الروح والريحان ٤٤٥/٣٢، مفاتيح الغيب ٣٢/ ٣٦٤

- ومناسبة ختم السورة بقوله- تعالى: [وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ] هو على سبيل التذييل الجامع لمعاني ما تقدمه في الآيات؛ فإنه- تبارك وتعالى- لما أثبت في الآيات السابقة جميع صفات الإحسان لذاته جاءت هذه الآية خاتمة للسورة نافية جميع الصفات التي لا تجوز في حقه- تبارك وتعالى- فيكون المقصود من الآية الشريفة إثبات وصف مخالفته-تبارك وتعالى- لجميع الحوادث.

- وما بين مفتتح السورة وخاتمتها بهذه الآية الوصف الجامع لإلهية الحق- تبارك وتعالى؛ فكأنه وصف ذاته-تبارك وتعالى- بالأحدية التي لا نظير ولا شبيه ولا مكافئ لها بحال من الأحوال.

- **سادساً: من أسرار ختم القرآن بالإخلاص والمعوذتين:** لما جاءت سورة الإخلاص ومعها المعوذتان تحويان أصول العقيدة وتعويذاً من الشرك، وإشعاراً للمرء بالافتقار لله وحده، من كل شر ظاهراً أوباطناً، خفياً كان أو واضحاً، عاماً كان أو خاصاً؛ ختم الله- تعالى- به كتابه، ومن أسرار ختام القرآن بهن ما يلي(١٠٠):

- سورة الإخلاص كأنها جماع ما ورد في القرآن من تعريف المكلفين بمعبودهم حول معاني التوحيد وكأنها وصية مودعٍ مشفق على حبيبه؛ لذا أودعها الله- تعالى- جوامع صفات الإله المعبود، في وصف دقيقٍ جامعٍ مانعٍ، وكأنه يقال: بعد خروجك متشبعاً بالتوحيد من سورة الإخلاص، وتمام معرفتك بالله- تعالى، وتعرفك على معنى "الصمد" فاستشعرت الفاقة والحاجة لله- تعالى، تأتي المعينات لك وهما المعوذتان.

١٠٠- انظر/ تفسير ابن باديس ((في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير)) ٣٧١، المؤلف: عبد الحميد محمد بن باديس الصنهاجي (المتوفى: ١٣٥٩هـ)، المحقق: علق عليه وخرج آياته وأحاديثه أحمد شمس الدين، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت- لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٦هـ- ١٩٩٥م.

(ISSN: 2536- 9555)

– تجيء المعوذتان تبينان لك كيفية الالتجاء لله– تعالى– الذي هو الترجمة العملية للمعرفة النظرية، وللإيمان العقدي المودع في سورة الإخلاص؛ فلأجل هذا الارتباط العظيم في المعاني جاء في بعض الأحاديث تسمية الإخلاص مع الفلق والناس بـ"المعوذات" عن عَائِشَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أَخْبَرَتْ: «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ– صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– كَانَ إِذَا اشْتَكَى نَفَثَ عَلَى نَفْسِهِ بِالْمُعَوِّذَاتِ، وَمَسَحَ عَنْهُ بِيَدِهِ، فَلَمَّا اشْتَكَى وَجَعَهُ الَّذِي تُوُفِّيَ فِيهِ، طَفِقْتُ أَنْفِثُ عَلَى نَفْسِهِ بِالْمُعَوِّذَاتِ الَّتِي كَانَ يَنْفِثُ، وَأَمْسَحُ بِيَدِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْهُ»(١٠١)، قالوا: المراد بأنه كان يقرأ بالمعوذات أي السور الثلاث وذكر سورة الإخلاص معهما تغليباً لما اشتملت عليه من صفة الرب– تبارك وتعالى، وورد أيضاً عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ–صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أُنْزِلَتْ عَلَيَّ سُورَتَانِ، فَتَعَوَّذُوا بِهِنَّ، فَإِنَّهُ لَمْ يُتَعَوَّذْ بِمِثْلِهِنَّ»(١٠٢).

- بعد أن يكون المؤمن قد ساح في الرحلة الإيمانية في القرآن الكريم تأتي المعوذات كالختم على كنوز القرآن في نفس المؤمن وتحصين هذه النعم المنشأة له من القرآن أن يكيدها كيد كائد، أو ينالها حسد حاسد.

- من أوتي القرآن فقد طوى عطاء الوحي بين جنبيه، وأوتي الخير الكثير، ولذا فهو في مرمى عين الحاسدين، ومهوى أفئدة الكائدين، فكان حقيقاً بعد ختمه القرآن أن يلجأ لله– تعالى– مستعيذاً بالله من كل شر.

- من أوتي القرآن الكريم وتبحر فيه ربما دخله الشيطان من باب الكبر، أو الغرور، أو العجب، أو الشبهات فلا جرم أكرمه الله– تعالى– في آخر كتابه

١٠١– حديث صحيح، رواه البخاري في صحيحه ٦/ ١١ رقم ٤٤٣٩/ باب مرض النبي– صلى الله عليه وسلم.

١٠٢– مسند الإمام أحمد ٥٣١/٢٨ حديث رقم ١٧٢٩٩

بأن ذكره بأن المسلم على كل حال محتاج للجوء لله–تعالى– والاستعانة به؛ ففي ذلك مزيد تزكية ومعين تربية، وجميل تذكير.

المسألة الثالثة عشرة

سورة الفلق

أولاً: مقاصد السورة: السورة الكريمة جاءت للتوجيه إلى([١٠٣]):

١– اللجوء لله– تعالى– في الاستعاذة من شرور الخلق أجمعين.

٢–بيان الأوقات التي يكثر فيها حصول الشر تنبيها على الاستعاذة بالله منها.

٣– بيان حقائق وأسرار خاصة بأصناف الخلق.

ثانياً: مناسبة السورة ومضمون الربع: وقد جاءت السورة متسقةً مع مضمون الربع الواردة في سياقه من حيث رد أمور النفع والضر لله ربا العالمين؛ والتعريف بعظيم إنعام الله– تعالى– على عباده المؤمنين، وبيان عظيم علم الله– تعالى– بخفايا ودقائق النفوس التي لا يعلمها إلا الله– تبارك وتعالى– رب العالمين.

ثالثاً: مناسبة السورة لما قبلها: جاءت سورة الفلق في أعقاب سورة الإخلاص، وقد ختمت السور الثلاثة: [الإخلاص– الفلق– الناس] في ختام القرآن الكريم لما يلي:

– أن الحق– تبارك وتعالى– لما أبان حقائق الأولوهية في سورة التوحيد بياناً لما يدفع به الضرر،أتبع ذلك ببيان مصادر الضرر، ومنطلقها، وهما الموقعان المستعاذ منهما وهما مجال: [الكون في سورة الفلق– مجال النفس في سورة الناس].

١٠٣– انظر/ التحرير والتنوير ٦٢٥/٣٠، مفاتيح الغيب ٣٦٩/٣٢، التفسير المنير ٤٧٢/٣٠

(ISSN: 2536- 9555)

– أن سورة الإخلاص تحدثت عن الإله المعبود، والذي يجب أن تنصرف العبادة إليه، وما يجوز في حقه، وما يستحيل عليه ، ناسب أن يتبعها بالحديث عن الكون من حول الإنسان ممثلاً في سورة الفلق، والحديث عن أسرار النفس البشرية وبيان ملكيتها لرب الناس وهو الإله المعبود بحق، والمذكور قبل في سورة الإخلاص، فكان الترتيب حسناً بذكر الإله وصفاته ثم الحديث عن الكون وما فيه، ثم الحديث عن الناس.

– من الناحية المعرفية التي يفيدها القرآن الكريم فقد جاءت السور الثلاثة لبيان مجالات المعرفة المعتبرة واللازمة على ترتيب بديع؛ حيث جاءت سورة الإخلاص لبيان صفات المعبود وما يتعلق به–تبارك وتعالى، ثم أتبعتها سورة الفلق تعريفاً بالكون وبعض أسراره، ثم الانتقال إلى الكون الصغير، وهو عالم النفس البشرية، وما يتعلق به من أسرار قد تدق على المحجوبين عن المعرفة الحقيقية.

ثالثاً: المناسبة بين اسم السورة وموضوعها: سميت السورة بـ"الفلق"؛ وفيه الإشارة إلى مايحدثه الله– تبارك وتعالى– من إحداث كل ما سواه؛ فقد كان الله ولا شيء معه ثم أحدث– تبارك وتعالى– جميع الخلق وفق ما أراده من فلق، قال الرازي– رحمه الله تعالى: "وإذا تأملت الخلق تبين لك أن أكثره عن انفلاق، بل العدم كأنه ظلمة والنور كأنه الوجود، وثبت أنه كان الله في الأزل ولم يكن معه شيء البتة؛ فكأنه– سبحانه– هو الذي فلق بحار ظلمات العدم بأنوار الإيجاد والتكوين والإبداع، فهذا هو المراد من الفلق، وهذا التأويل أقرب من وجوه أحدها: هو أن الموجود إما الخالق وإما الخلق، فإذا فسرنا الفلق بهذا التفسير صار كأنه قال: قل أعوذ برب جميع الممكنات، ومكون كل المحدثات والمبدعات فيكون التعظيم فيه أعظم"(١٠٤)، فيكون تسميتها بهذا الاسم مناسباً تمام المناسبة

١٠٤– مفاتيح الغيب ٣٢/ ٣٧٢.

لموضوعها،وهو بيان قدرة وعظمة الرب الذي يدعونا إلى اللياذ بجنابه، والالتجاء إلى حماه.

رابعاً: تناسب الآيات وفواصلها في السورة الكريمة:

–مناسبة افتتاح السورة بقوله–تعالى: "قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ"بيان أن ذلك وحي الله– تعالى– إلى نبيه– صلى الله عليه وسلم–، وهو متعلق بجميع آيات السورة على سبيل بيان المستعاذ منه، والمرتبط بقوله– تعالى: "أَعُوذُ"؛ على سبيل العطف وبيان الشرور المستعاذ بالله– تبارك وتعالى– منها.

– وتخصيص المستعاذ منه في هذا الموضع وهو الله–تبارك وتعالى– بـ "بِرَبِّ الْفَلَقِ "هو لبيان التهيئة لقبول الدعاء؛ لأنه– تبارك وتعالى– هو رب الخلق، ففي ذلك تعليل لقبول التجاء المؤمنين إليه من شرورهم، فطالما أنه رب الفلق، فهو القادر على رد شرور أولئك الخلق.

– ومناسبة قوله– تعالى: "مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ" هو على سبيل الاستعاذة بالله– تعالى– من شرور جميع الخلق؛ على سبيل الاستعاذة من كل ما أذن الله– تعالى– له أن يخرج من العدم إلى الوجود والخلق، وهو على بيان أن المراد بالفلق الخلْق كما فسره بعضهم(١٠٥).

–ومناسبة تكرار قوله– تعالى "مِنْ شَرِّ" في الآيات التالية أكثر من مرة مع العلم أن حرف العطف مغنٍ عن ذلك التكرار هو من قبيل تأكيد الدعاء، تعرضاً للإجابة، وهذا من الابتهال فيناسبه الإطناب.

١٠٥– جامع البيان في تأويل القرآن ٢٤/ ٧٠١، المؤلف: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)، المحقق: أحمد محمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ– ٢٠٠٠ م

(ISSN: 2536- 9555)

– قوله– تعالى "وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ" مناسبته من قبيل تقديم الظرف على ما يقع فيه أياً كان المراد بالغاسق إذا وقب؛ إذ ما ورد بعدها هو من الأفعال المستهجنة التي تقع فيه، فكان في ذلك الاستعاذة من الظرف وما يقع فيه، والآيات على سبيل الإجمال ثم التفصيل، فإن الأفعال التالية بعدها لا تقع إلا في هذا الظرف.

– والمناسبة في قوله تعالى: "وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ" ذكر النَّفَّاثَاتِ هو على التغليب إذ ذكر أن فعل السحر وهو النفث في العقد مسند إلى النفاثات، وهن اللاتي يستخدمن أنفاسهن الخبيثة سبيلاً للوصول إلى الضرر الذي يلحق بمن أردن؛ استعانة بمن يسلك سبيل السحر، ومناسبتها بعد الآية قبلها هو بيان وقت وقوع السحر وظرفه، فلما ذكر الظرف في الآية الثانية أتبعها بالاستعاذة من السحر الذي أقرب أوقات وقوعه ما ذكر في الآية قبلها.

–المناسبة في قوله– تعالى "وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ" تقييد الاستعاذة من شر الحاسد بقوله تعالى: "إِذَا حَسَدَ" هو من باب التقييد بالفعل؛ لأنه حينئذ يندفع إلى عمل الشر بالمحسود حين يجيش الحسد في نفسه فتتحرك له الحيل والنوايا لإلحاق الضر به، وقد ختم به الحديث عن القبائح المستعاذ منها في السورة دلالة على أنه أقبح القبائح(١٠٦).

– ومن بديع المناسبة في السورة التسلسل في الأمور المستعاذ منها:حيث بدأ الدعاء بالاستعاذة العامة من كل مخلوق، وهو طلب النجاة من شر كل ذي شر، ثم انتقل للاستعاذة من الظرف الذي يكثر فيه وقوع الشر وما يقع فيه، ثم فصل بعض الأفعال الشريرية تخصيصاً لطلب النجاة منها استعاذة بالله– تعالى– منها:

١٠٦– انظر التحرير والتنوير ٣٠/ ٦٣٠، حدائق الروح والريحان ٣٢/ ٤٦٦

النفاثات في العقد (فواعل السحر استعانة بأشرار خارجيين)، والحاسد إذا حسد (استعاذة من الشر المتأصل في نفوس الحاسدين).

المسألة الرابعة عشرة

سورة الناس

أولاً: مقاصد السورة: جاءت السورة الكريمة لإرشاد النبي والمؤمنين إلى الاعتصام بجناب الله–تعالى، والالتجاء إلى حماه من كيد وشرور الشياطين، مع حشد الصفات الإلهية المناسبة لهذا المقام.

ثانياً: مناسبة السورة ومضمون الربع: السورة الكريمة تتفق والمضمون العام للربع الواردة فيه، في التوكيد على أن النافع والضار، هو الله– تعالى، وأن جميع صفات الربوبية والإلهية ليست لأحد سواه؛ في بيان واضح لأهم مرتكزات العقيدة التي جاء القرآن لينشئها في النفوس.

ثالثاً: مناسبة السورة لما قبلها: جاءت السورة الشريفة على سنن القرآن الكريم قبلها، وقد جاءت مناسبة أن يختم بها الكتاب العزيز كما يلي:

– جاءت سورة الناس بعد سورة الفلق موضحة المصدر الرئيس للشرور التي عرضت لها سورة الفلق، كي يستعيذ الإنسان بالله– تبارك وتعالى– فراراً من تلك الدوافع.

– ختم الله– تعالى– القرآن الكريم بهذه السورة لتكون رسالة الله الخاتمة لجمع الناس لمن أراد منهم النجاة من شرور الوسواس الذي هو مصدر كل ضلال وضياع.

– لما ذكر الحق– تبارك وتعالى– في سورة الإخلاص صفات الله– تعالى– وما يجب في حقه، وما يستحيل عليه– تبارك وتعالى، وأعقبها بالحديث عن الكون

(ISSN: 2536- 9555)

الذي يعيش فيه الإنسان وهو محل الاستخلاف، ناسب أن تأتي سورة الناس خاتمة للحديث عن طبيعة المعركة بين المكلفين وبين الشيطان، وكيف تكون النجاة فيها، باللجوء لله– تعالى– وحده فيظل المسلم شاعراً بحاجته الدائمة لله– تعالى– الصمد الذي يلجأ إليه المؤمن في جميع الحاجات، فيظل على حال الافتقار لله– تعالى، وهي أعلى منازل العابدين، فناسب هذا التسلسل البديع ما أورده القرآن.

–لما ذكر في سورة الفلق الاستعاذة بالله– تعالى– من الشرور المادية، وهي الشرور التي تلحق بالأبدان، ناسب أن يذكر في الناس الحديث عن الشرور التي يحيكها الشيطان للأرواح، وبين الحق– تبارك وتعالى– فيها سبيل النجاة من تلك الشرور.

– جاءت سورة الناس خاتمة للقرآن الكريم؛لأنها لخصت طبيعة المعركة التي يتعرض لها المكلفون في هذه الحياة الدنيا، وما سلاحهم فيها، وكيف تكون نجاتهم مما يحاك لهم فيها، وكأنها الوصية الباقية.

رابعاً: تناسب الآيات وفواصلها في السورة الكريمة:

– بداية مناسبة البدأ بـ: "قُلْ" لبيان أن ذلك وحي من الله– تعالى– لنبيه على سبيل الإرشاد والتوجيه.

– مناسبة الوصف الإلهي بكلٍ من [رَبِّ النَّاسِ– مَلِكِ النَّاسِ– إِلَهِ النَّاسِ] لبيان شمول حالات الرعاية الإلهية للخلق، وتنوع ذلك مع كل مرحلة من مراحل حياتهم، فالإنسان إذا وقع في حاجة يستعين أولاً بخبرته وعلمه أو بمن له خبرة وتجربة ليرشده وليشير عليه بما يفعل، وهذا هو شأن الربّ أي المربي فهو المرشد والمعلم والموجه ولذا بدأت الآيات به (رب الناس)، فإذا لم ينجح فيما يريد لجأ إلى السلطة وصاحبها أي الملك (ملك الناس) فإن لم تُجد السلطة نفعاً التجأ إلى الله– تعالى– (إله الناس)، والترتيب في الآيات في السورة على سياق هذا الترتيب،

وكحاجة الإنسان للتعامل في الحياة، وهو واضح في مراحل حياة الناس ومعاشهم، فالأجنة هي البداية ثم يخرج الناس للحياة مستعينين بالمربي الذي يقدم لهم ما يحتاجونه من تربية ورعاية، فإذا كبروا احتاجوا إلى المجتمع وما ينظم علاقتهم به، ثم يأتي سن التكليف حيث يحاسبه الإله(١٠٧)، ومناسبة وقيمة الإضافة السابقة هو التشريف والتكريم.

– مناسبة قوله–تعالى: "مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ" الجمع بين هذين الوصفين هو على سبيل بيان الداء والدواء، فالمشكلة التي تعرض للمكلف في هذا الموضع هي وسوسة الشيطان، مع بيان سبيل النجاة منها وهو ذكر الله– تعالى– المضمن في وصف الشيطان بـ"الْخَنَّاسِ" أي الذي يخنس وينزوي، ويتصاغر إذا ذكر العبد ربه– تبارك وتعالى.

– ومناسبة تكرار لفظ الناس دون استخدام الضمير القائم مقامها لبيان أن المراد بهذا اللفظ في كل مذكور منها هو مغاير للبقية منها، فالناس الأولى يراد بهم المحتاجون للتربية والرعاية، وهو الإنسان في مفتتح عمره، والناس الثانية الواردة مع ملك هم المحتاجون لمن يسوسهم ويرعاهم، والناس المذكورون مع إله الناس هم المحتاجون لإله يدبر أمورهم ويرعاهم.

– والآية السادسة متعلقة تعلقاً تركيبياً بما سبقها من آيات،فمناسبة الفاصلة في السورة على السين بجرس خافت ومهيب وله وقع في النفوس؛ للدلالة على تصوير التحذير في السورة؛ فكما أن الشيطان يتدسس بوسوسته للنفوس بصوت مهموس غير مسموع جاءت الفاصلة معبرة عن هذا المعنى بالسين المهموسة، ليتجاور في النفس موسيقى اللفظ مع الدلالة المعنوية للألفاظ.

١٠٧– لمسات بيانية في نصوص من التنزيل ٤٤٦، المؤلف: فاضل بن صالح بن مهدي بن خليل البدري السامرائي .

(ISSN: 2536- 9555)

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على أشرف المخلوقات، وبعد هذه السياحة القرآنية القصيرة في رحاب بعض السور من كتاب الله–تعالى، بحثاً عن الروابط الظاهرة، والمعنوية في أسرار التناسب في القرآن الكريم فقد اتضح وتأكد عدد من النقاط الرئيسة كما يلي:

***أولاً:** أن كتاب الله– تعالى– بحر زاخر بالمعاني التي لا تنضب؛ فكلما عكف عليه المسلم ورده، وتدبر فيه رزق من فيوضات علوم هذا الكتاب.

– تحقق التناسب بجميع معانيه ومحاوره في القرآن الكريم: [ترتيبه– أجزائه– سوره– آياته] حتى ليكاد القرآن الكريم كاملاً أن يكون رسالة واحدة متماسكة غير منفصلة الأجزاء، فقد نزل مجموعاً في ليلة القدر كما قال الله– تعالى: [حم، وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ، إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ] الدخان ١: ٣، وذلك قبل تفريقه منجماً على الحوادث التي وافقت في تنزلها حدوث حوادثها؛ تدليلاً على سابق علم الله– تعالى القائل: [وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا، وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا].

– علم المناسبة أحد أبرز وجوه الإعجاز القرآني الكريم.

– الإيمان القلبي، والاقتناع العقلي، والتحقيق العلمي يؤكد أن القرآن الكريم كتاب الله– تعالى، والتحقيق في علم المناسبة يسلم أن هذا الكتاب من عند الله– تعالى– لأنه: [وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا].

– أهمية مدارسة هذا الفن من علوم القرآن؛ مدارسة تطبيقية شاملة على القرآن من أول سوره إلى خاتمته؛ كونه يبرز أحد أهم جوانب الإعجاز القرآني المتعددة.

**** التوصيات العلمية:**

١- على المجامع العلمية، والمراكز البحثية المتخصصة في الدراسات الشرعية الاهتمام بالدراسات التطبيقية لهذا العلم؛ كشفاً لأوجه إعجاز هذا الكتاب.

٢- الاهتمام بتنمية المهارات البحثية في هذه الجوانب التطبيقية لعلوم القرآن الكريم يساهم بشكل كبير في استكمال النقص العلمي، وتكميل الجاني السلوكي لدى طلاب الدراسات القرآنية.

٣- معايشة ومدارسة هذه الرابطة على مستوى سور القرآن أو على مستوى القرآن ككل يفتح أبواباً عظمية من كنوز القرآن وعطاياه، كما يساهم بشكل كبير في تحصيل واستيعاب نظرية النظم التي تقف خلف إعجاز السابقين والاحقين.

وبعد فما كان في هذه الورقة من توفيق فمن الله تعالى وحده الذي ينعم على عباده بنعمه الظاهرة والباطنة، وما كان فيها من نقص أو قصور فهو دأب ابن آدم الذي استولى عليه النقص، لكن حسبنا أنا طرقنا باب الكريم طلباً لعفوه عن الزلات: [رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ] البقرة ٢٨٦.

(ISSN: 2536- 9555)

المراجع العلمية التي تم الاستعانة بها

- القرآن الكريم.

١–الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه= صحيح البخاري، المؤلف: محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ.

٢–المحكم والمحيط الأعظم،المؤلف: أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي [ت: ٤٥٨هـ]، المحقق: عبد الحميد هنداوي، الناشر: دار الكتب العلمية– بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ– ٢٠٠٠م.

٣– سنن الترمذي،المؤلف: محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (المتوفى: ٢٧٩هـ)، تحقيق وتعليق:أحمد محمد شاكر (جـ ١،٢) ومحمد فؤاد عبد الباقي (جـ ٣) وإبراهيم عطوة عوض، المدرس في الأزهر الشريف(جـ٤،٥)، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي– مصر، الطبعة: الثانية، ١٣٩٥ هـ– ١٩٧٥م.

٤– الإتقان في علوم القرآن، المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة: ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م.

٥– الإمام البقاعي ومنهاجه في تأويل بلاغة القرآن، المؤلف: محمود توفيق محمد سعد.

٦– البحر المحيط في التفسير، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: ٧٤٥هـ)، المحقق: صدقي محمد جميل، الناشر: دار الفكر– بيروت، الطبعة: ١٤٢٠ هـ.

٧- البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، المؤلف: أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الأنجري الفاسي الصوفي (المتوفى: ١٢٢٤هـ)، المحقق: أحمد عبد الله القرشي رسلان، الناشر: الدكتور حسن عباس زكي- القاهرة، الطبعة: ١٤١٩ هـ

٨- البرهان فى تناسب سور القرآن، المؤلف: أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي الغرناطي، أبو جعفر (المتوفى: ٧٠٨هـ)، تحقيق: محمد شعباني، دار النشر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية . المغرب، عام النشر: ١٤١٠ هـ- ١٩٩٠م.

٩- البرهان في علوم القرآن، المؤلف: أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (المتوفى: ٧٩٤هـ)، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم،الطبعة: الأولى، ١٣٧٦هـ- ١٩٥٧م، الناشر: دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه.

١٠- البرهان في علوم القرآن، المؤلف: أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (المتوفى: ٧٩٤هـ)، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة: الأولى، ١٣٧٦هـ- ١٩٥٧م، الناشر: دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه.

١١-البيان والبديع، المؤلف: مناهج جامعة المدينة العالمية، الناشر: جامعة المدينة العالمية، ٢٠١٠م.

١٢-التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»،محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى: ١٣٩٣هـ)، الدار التونسية للنشر- تونس،١٩٨٤ هـ.

١٣- التفسير البياني للقرآن الكريم،المؤلف: عائشة محمد علي عبد الرحمن المعروفة ببنت الشاطئ (المتوفى: ١٤١٩هـ)، دار النشر: دار المعارف- القاهرة، الطبعة: السابعة.

(ISSN: 2536- 9555)

١٤– التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، المؤلف: د وهبة بن مصطفى الزحيلي الناشر: دار الفكر المعاصر– دمشق الطبعة: الثانية، ١٤١٨هـ.

١٥–الجامع لأحكام القرآن، تفسير القرطبي، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية– القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ– ١٩٦٤ م.

١٦– الدر المنثور في التفسير بالمأثور، المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، الناشر: دار الفكر– بيروت.

١٧– الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل،المؤلف: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ)، الناشر: دار الكتاب العربي– بيروت، الطبعة: الثالثة– ١٤٠٧ هـ.

١٨– المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز،المؤلف: أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (المتوفى: ٥٤٢هـ)، المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد، الناشر: دار الكتب العلمية– بيروت، الطبعة: الأولى– ١٤٢٢ هـ.

١٩–المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، المؤلف: أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (المتوفى: ٥٤٢هـ)، المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد، الناشر: دار الكتب العلمية– بيروت، الطبعة: الأولى– ١٤٢٢ هـ.

٢٠– المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى، المؤلف: أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (المتوفى: ٥٠٥هـ)المحقق: بسام عبد الوهاب الجابي، الناشر: الجفان والجابي– قبرص، الطبعة: الأولى، ١٤٠٧– ١٩٨٧.

٢١- النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن الكريم، المؤلف: محمد بن عبد الله دراز (المتوفى: ١٣٧٧هـ)، اعتنى به: أحمد مصطفى فضلية، قدم له: أ. د. عبد العظيم إبراهيم المطعني، الناشر: دار القلم للنشر والتوزيع، الطبعة: طبعة مزيدة ومحققة ١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥م.

٢٢- أساس البلاغة، المؤلف: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ)،تحقيق: محمد باسل عيون السود، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ- ١٩٩٨ م.

٢٣- أسرار ترتيب القرآن، المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، الناشر: دار الفضيلة للنشر والتوزيع.

٢٤- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، المؤلف: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (المتوفى: ٨١٧هـ)، المحقق: محمد علي النجار، الناشر :المجلس الأعلى للشئون الإسلامية-لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة.

٢٥- تفسير ابن باديس ((في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير))، المؤلف: عبد الحميد محمد بن باديس الصنهاجي (المتوفى: ١٣٥٩هـ)، المحقق: علق عليه وخرج آياته وأحاديثه أحمد شمس الدين، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت- لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٦هـ- ١٩٩٥م.

٢٦- تفسير القرآن العظيم، المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، المحقق: محمد حسين شمس الدين، الناشر: دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون- بيروت، الطبعة: الأولى-١٤١٩هـ.

٢٧-تفسير الماوردي = النكت والعيون، المؤلف: أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (المتوفى: ٤٥٠هـ)، المحقق:

(ISSN: 2536- 9555)

السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، الناشر: دار الكتب العلمية– بيروت / لبنان،

٢٨- تفسير المراغي، المؤلف: أحمد بن مصطفى المراغي (المتوفى: ١٣٧١هـ) الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر الطبعة: الأولى، ١٣٦٥ هـ- ١٩٤٦ م.

٢٩- تفسير أبي السعود= إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم،المؤلف: أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (المتوفى: ٩٨٢هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي– بيروت.

٣٠- تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، المؤلف: الشيخ العلامة محمد الأمين بن عبد الله الأرمي العلوي الهرري الشافعي، إشراف ومراجعة: الدكتور هاشم محمد علي بن حسين مهدي، الناشر: دار طوق النجاة، بيروت– لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ- ٢٠٠١م.

٣١- جامع البيان في تأويل القرآن، المؤلف: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)، المحقق: أحمد محمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ- ٢٠٠٠ م.

٣٢- جمال القراء وكمال الإقراء، المؤلف: علي بن محمد بن عبد الصمد الهمداني المصري الشافعي، أبو الحسن، علم الدين السخاوي (المتوفى: ٦٤٣هـ)، تحقيق: د. مروان العطيَّة- د.محسن خرابة، الناشر: دار المأمون للتراث– دمشق– بيروت، الطبعة: الأولى ١٤١٨ هـ- ١٩٩٧ م.

٣٣- جماليات المفردة القرآنية، المؤلف: أحمد ياسوف، الناشر: دار المكتبى– دمشق، الطبعة: الثانية، ١٤١٩ هـ- ١٩٩٩م.

٣٤- خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية ١/ ٤١٣، المؤلف: د.عبد العظيم إبراهيم محمد المطعني (المتوفى: ١٤٢٩هـ)، الناشر: مكتبة وهبة، الطبعة: الأولى١٩٩٢م.

٣٥- روح البيان، المؤلف: إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي ، المولى أبوالفداء (المتوفى:١١٢٧هـ)، الناشر: دار الفكر- بيروت.

٣٦- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، المؤلف: شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (المتوفى:١٢٧٠هـ)، المحقق: علي عبد الباري عطية، الناشر: دار الكتب العلمية- بيروت، الطبعة: الأولى،١٤١٥هـ.

٣٧- فتحُ البيان في مقاصد القرآن، المؤلف: أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القِنَّوجي (المتوفى: ١٣٠٧هـ)، عني بطبعهِ وقدّم له وراجعه: خادم العلم عَبد الله بن إبراهيم الأنصَاري، الناشر: المَكتبة العصريَّة للطبَاعة والنّشْر، صَيدَا- بَيروت، عام النشر: ١٤١٢هـ- ١٩٩٢م.

٣٨- في ظلال القرآن، المؤلف: سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي (المتوفى: ١٣٨٥هـ)، الناشر: دار الشروق- بيروت- القاهرة الطبعة: السابعة عشر- ١٤١٢هـ.

٣٩- لباب التأويل في معاني التنزيل، المؤلف: علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي أبو الحسن، المعروف بالخازن (المتوفى: ٧٤١هـ)، المحقق: تصحيح محمد علي شاهين، الناشر: دار الكتب العلمية- بيروت، الطبعة: الأولى- ١٤١٥ هـ.

٤٠- لسان العرب، المؤلف: محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: ٧١١هـ)، الناشر: دار صادر- بيروت، الطبعة: الثالثة- ١٤١٤ هـ.

(ISSN: 2536- 9555)

٤١– لمسات بيانية في نصوص من التنزيل، المؤلف: فاضل بن صالح بن مهدي بن خليل البدري السامرائي.

٤٢– مباحث في التفسير الموضوعي، المؤلف: مصطفى مسلم، الناشر: دار القلم، الطبعة: الرابعة ١٤٢٦هـ– ٢٠٠٥م.

٤٣– محاسن التأويل، المؤلف: محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (المتوفى: ١٣٣٢هـ) المحقق: محمد باسل عيون السود الناشر: دار الكتب العلميه– بيروت الطبعة: الأولى– ١٤١٨ هـ.

٤٤– مسند الإمام أحمد بن حنبل، المؤلف: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ)، المحقق: شعيب الأرنؤوط– عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ– ٢٠٠١م.

٤٥– مفاتيح الغيب: التفسير الكبير، أبوعبدالله محمدبن عمربن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ)، الناشر: دار إحياءالتراث العربي– بيروت، الطبعة: الثالثة– ١٤٢٠ هـ.

٤٦– نظم الدررفي تناسب الآيات والسور، المؤلف: إبراهيم بن عمربن حسن الرباط بن علي بن أبي بكرالبقاعي (المتوفى:٨٨٥هـ)، الناشر: دارالكتاب الإسلامي، القاهرة.

٤٧– وظيفة الصورة الفنية في القرآن، المؤلف: عبد السلام أحمد الراغب، الناشر: فصلت للدراسات والترجمة والنشر– حلب، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ– ٢٠٠١م.